الباب الأول

العلاقة الجدلية بين إشكاليات الواقع، والتوحد المأساوي للفارس والشاعر

الفصل الأول

قضايا الواقع العربي والإسلامي

الشاعر: شاهد الأمة في ماضيها وحاضرها.

قضايا الواقع العربي والإسلامي هي مرتكز التجربة الشعرية للشاعر الدكتور صالح زهراني، ومن هنا يدور شعره في ماضي الأمة وحاضرها، حاكيا أمجادها، وجراحها، وآلامها، راصداً فتوحاتها وكبواتها، مصوراً من خلال ذلك كله تاريخ أمته، وتاريخ ذاته الموجعة، إذ لا نكاد نري فاصلاً بين الذاتين، الشاعر هو الأمة، وسيرة الشاعر هي تاريخ هذه الأمة.

لذلك يبدو الشاعر في كثير من قصائد هذه التجربة هو الشاهد علي عصره، نري هذا الشاهد صراحة في عناوين بعض القصائد، ونري ما يدل عليه من المفردات، كما في قصيدة "شاهد العصر"[١٣]، وقصيدة " شهادة حياة"[١٤] ، "واعترافات شاهد الموت"[١٥] ، وهو الشاهد الذي يتبطن صوت رموزه التاريخية- كما سنبين عند دراسة الصورة الشعرية بإذن الله- يستعير صوت "حرام بن ملحان" وصوت قبيلة "باهلة"، وحراس ابن قتيبة"، والسندباد...، الشاعر هنا هو ضمير أقنعته الفنية، ومعادله للفني، بما ينعكس علي المعجم الداخلي لتجربته، حيث يتردد فيه الأفعال الدالة علي معاينة الواقع مثل مفردات الرؤية، والسماع، والإدراك، والشهادة.

للشاعر في هذه التجربة هو شاهد العصر قراءة لواقعه، ورؤية له، ورؤيا، وهو يكثر من التعبير عن اضطلاعه بهذا العبء في كثير من مواضع شعره، كما في قوله:

إني لأقرأ في الصفوف تخاذلاً والشعر يقرأ ما تكن الأسطر

إني لأبصر في العيون غشاوة ولذا أقول بما أري وأذكر

وقضايا الأمة هي مرتكز هذه التجربة الشعرية، وهي الهم الشاغل للشعر والشاعر، يقول د. صالح في "فواصل.. للصبح الجنوبي":

يا جبال السراة حملت هماً في زمان مات الورى فيه حسيا
كل قومي في حرقتي في فؤادي كيف يقوي هذا الفؤاد المؤسي
يشرب الأبعدون فيض حزني في وريدي جمعت بكرا وعيسا

يطرح الشاعر هذا الهم الجمعي بوصفه همه الشخصي حيث لا فاصل بين الذات والمجموع، لذلك يقع هذا الهم علي رأس مثيرات حزنه، كما يقول[١٧]:

وأنا في دمي أغني لقومي حافظا للزمان ما ليس ينسي
حاملا همهم شجي أبديا وأقاسي، لأصبح اليوم أقسي

هموم الواقع التي تشغل الشاعر تمتد زمنياً من الماضي إلي الحاضر، وتهيمن علي المستقبل أيضاً في الاستشراف اليائس، وفي البحث عن الرؤيا، لذلك يصف الشاعر هذه الهموم بأنها "العاهة المستديمة"، في القصيدة التي تحمل هذا الاسم. يقول[١٨]:

أمس جرح، واليوم في القلب جرح أمس نمنا عليه واليوم نصحو

هذه الهموم تمتد من النكسة الأولي إلي النكسة الأخرى، وهي وجع الذات، وتاريخ الحرائق- كما يصفها- هي النار الممتدة في كيان الأمة، وكيان الشاعر، هي هذا التاريخ المؤلم الذي يصف رحلته الدامية في قصيدته "لغة خارج الأبجدية" حيث يقول:

من بزوغ النكسة الأولي لموت النكسة الأخرى
من نسف المطارات إلي قصف الحصون
كنت أشكو من تضاريس الشعارات ومن مد الفراغات
ومن خيل الطنين[١٩]

يرتحل الشاعر بفكره، وحدوسه بين ماضي الأمة وحاضرها، فتروعه المقارنـــة، وتهـــوله المفارقة، ومن ذلك يحمل فوق جنبيه- محدوا ببهاء الماضـــي آمـــلاً فـــيه- مجداً وفتوحات وفيالق يحمل راية المجد منتظراً للتغير، كما يقول في "تقاسيم العشق الجنوبي".

بيرق المجد مشرع فوق رأسي وخيول الآباء تدمي جبيني[٢٠]

يـــصطدم ماضي المجد بهزائمية الواقع، وبالضعف الذي يرين علي كـــيان الأمة، وينتظم كافة أرجائها، فيوزع الشاعر نبضه علي هذه البقاع الموجوعة، ويلتحم بها، يقول في قصيدة "الريحانة".

فؤادا يقرأ الدنيا عجاجاً وقد جنت بأمته الخطوب

يقسم نبضه في كل أرض ففي كل البقاع له وجيب

ويصرخ في الوجود بألف معني ويمضي السائرون ولا مجيب[٢١]

يـــسيطر هـــم الأمة علي وعي الشاعر، وتستلبه مشاعر حزنه علي تضعـــضع الكـــيان حتى في لحظات الميلاد وانبثاق حياة جديدة كما في قصيدته التي يبادر فيها ابنته فيروز عند ميلادها بهموم الأمة، وكأن لحظة المـــيلاد لم تهد إليه الإحساس بالحياة، بل أهدت إليه الشجن من انسحاب الحياة من كيان الأمة. يقول لابنته.

جئت، وذاكرة الأيام مثقلة بحزنها، والليالي نبضها عبر

ويقول:

جئت، وللصبح صبح لا صباح له وللبدايات وجه لونه كدر[٢٢]

قـــضايا الواقـــع العربي والإسلامي ليست موضوعاً من موضوعات التجربة الشعرية للدكتور صالح الزهراني، بل هي موضوع هذه التجربة

منذ أول ديوان صادر له، وهو "تراتيل حارس الكلأ المباح"، حتى الديوان الأحدث- قيد الطبع- وهو "ورقة من سفر الرؤيا".

ليس هذا وحده ما يميز هذه التجربة الشعرية، ويلفت انتباه النقد، بل يلفت انتباه النقد ويجبره قسرا علي التأمل في جنبات هذه التجربة، والانشغال بتفاصيلها فنية الطرح الشعري وتميزه وانسجامه العضوي، سواء داخل الديوان الواحد، أو بين الدواوين بعضها البعض، بما يجعل هذه الدواوين مجتمعة بمثابة القصيدة الواحدة من الناحية العضوية، ومدى الدلالة علي رؤية الشاعر الفنية والفكرية، وهي في ذات الوقت تمثل مراحل هذه الرؤية حيث يصور كل ديوان من هذه الدواوين حلقة من حلقات التجربة الشعرية وتفاصيل رؤية الشاعر، وذلك كما يلي:

في ديوانه "تراتيل حارس الكلأ المباح" يصور الشاعر قضية استلاب الأمة من خلال تصوير هذه الأمة وكنوزها كلأ مباحاً، يتعرض للانتهاك والسرقة والإضاعة والتدمير، يتعرض للاحتراق، والتجمر ثم الترمد.

ويأتي ديوانه "فصول من سيرة الرماد" مرحلة منطقية- شعريا ورؤيويا- حيث يقدم سيرة لهذا الكيان في مرحلة ترمده بعد أن مر بالاحتراق والتجمر. يقدم الشاعر في هذا الديوان طرحه لدلالات الرماد، ويطرح أسئلته الشعرية حول مدى إمكانية البعث من الرماد.. البعث من جديد.

أما ديوانه الثالث- في ترتيب الإصدار- وهو "ستذكرون ما أقول لكم"، فهو شهادة الشاعر علي الواقع موجهة إلي الضمير الجمعي، يضمنها تحذيره من الآتي، ويطرح أجراس إنذاره مؤكدا أن التاريخ سيعيد صدي رسالته ورؤاه، وسيؤكد صدق ما ألفاه إلي الجموع.

في ديوانه الأحدث: "ورقة من سفر الرؤيا" يهدي الشاعر د. صالح الزهراني رؤاه الشعرية إلي ضمير الأمة، في شكل بانورامي شاملاً

الماضـــي والحاضـــر والمستقبل، وهي رؤي مبنية علي المراحل السابقة للتجربة، والمواكبة- في ذات الوقت- لمراحل تاريخ الأمة.

لـــيس معنـــي هذا التقسيم السابق لمراحل التجربة الشعرية أننا نضع فواصـــل بـــين دواوين الشاعر، ونجزم بالفصل التام بين موضوعات كل ديـــوان، واســـتقلال كـــل ديوان بموضوعاته- أو مرحلته الموضوعية- اســـتقلالا تامـــاً، فالتجربة الشعرية لا تحتمل هذا الفصل، ولا تتبعه، إنما نصف السائد الغالب علي كل ديوان شعري، مع تفهم قابلية وجود استثناء للظاهرة المشار إليها، بما سيتبين أثناء التحليل النقدي.

استلاب مقومات الأمة:

يكاد يستأثر ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح" بطرح قضية استلاب الأمة، وتبديد الكيان- كما أشرنا.

وتـــدور التجـــربة الشعرية في هذا الديوان حول ثلاثة أطراف هي: الأمـــة (أو الكـــلأ المـــباح)، وحـــارس الأمة (وهو الشاعر في الغالب)، والمجتمع.

الأمـــة في هذه التجربة كلأ مباح في كل الصور والصفات والهيئات التي يعرضها لها الشاعر، وفي كل السياقات المحيطة بها، فهو يصورها فـــي القـــصائد خريطة صماء بلا معالم تحميها من الإذابة والتلاشي، أو التماهي، أو سرقة الماهية! وهي في طرح داخل هذا الديوان كيان "مباح" متاح يغري بالسرقة والانتهاب، والاعتداء عليه، ويغري أصحابه بالتخلي عنه.

يطرح الشاعر هذا التصور في قصيدته "قراءة لعوامل التعرية" حيث نري التعرية معني من معاني إباحة الكيان أو إباحة الكلأ:

ها أنت يا نهر الجراح خريطة صماء ليس بها لسان يعرب

الـــوطن مـــباح- والوطن هنا أممي- من قبل أعدائه، لذلك فهو جسد مجروح منتهك، لا يجد من يسانده، كما يقول في ذاته القصيدة:

واليوم في الأقصي جراحك ترة والكف مجدبة، وظهرك أحدب[٢٣]

عوامل الاستلاب:

من عوامل إباحة هذا الكيان الفرقة الداخلية، والتنازع بين أبناء الأمة، الذين يتنافسون في إشاعة الشتات والتمزق يقول الشاعر:

بكر التي شحن التحدي قلبها لحقت بها خوف الفضيحة تغلب[٢٤]

علب مكدسة، يعربد فوقها جيش الظلام، لكل بيت مذهب

ويقـــول واصـــفات جرم الخلاف والفتنة علي هذه الأمة السليبة من أبنائها قبل أعدائها:

قبائل "بشرار الحق مولعة" نارية الوجه من صيدا إلي الهرم

حدودها السود تغني تحت ظلمتها أشعة الحب والقربي وذو الرحم[٢٥]

فـــي موضـــع آخـــر يصور الشاعر هذه الفتنة الداخلية بالخلاف بين الأب، والعم الجائر، والأبناء، يقول في "مقاطع من سيرة أبناء يعقوب" في ديوانه فصول:

"وكان عمي جائرا، يسير بالمقلوب

في موسم الحصاد، يحمل الأمل

ويحمل الريحان والعسل

فتبدأ الأحزان

يبتاعها ولا يؤوب"[٢٦]

ويـــتعمد الشاعر أن يجعل الخلاف مستمرا حتى نهاية هذه القصيدة، ويترك لنا نهاية مفتوحة مؤذنة بكارثة، حيث يقول:

وجاء عمي ساعة الحصاد

يطلب الغلال

قلنا له محال

واصطفت الرماح والخطي

لكنه حل بنا المكتوب[٢٧]

يصور الشاعر هذه الإباحة والانتهاك من خلال تصوير تحول موقع الأمـــة مـــن القوة إلي الضعف، من فتوحات وفروسية إلي خزي وعار، وصـــمت إجباري..، يعبر عنه الشاعر من خلال تصوير رموز القوة من تاريخنا الإسلامي والعربي مستلبة ذليلة مهانة- بما سيرد ذكره عند تحليل الرموز- يقول:

أبكي دما، إذ أري القعقاع في يده قيد يساق به في هيئة الأمم[٢٨]

وفـــي قـــصيدته "بيان للجماهير المحتشدة" يؤكد الشاعر أن الضعف والتخاذل صار علامة فارقة، للأمة، يقول:

صدقوني بعضي يحارب بعضي كنت عربا، فصار نصفي تتارا

خطوتي تنهب المدي، ويميني فوق رجلي، تقيم عمدا جدارا

ولساني يذوب عطراً، وقلبي لجراح الزمان أضحي مطارا[٢٩]

هـــذه الهـــوية المستلبة، والملامح الباهتة، من مثيرات حزن الشاعر، وهـــي أيضاً عوامل تعرية الكيان الفردي والجمعي كما يقول في القصيدة التي تحمل هذا العنوان "قراءة لعوامل التعرية":

أبكي، لمن أبكي، وجلدي هارب منى، وثغري بالجراح معلب[٣٠]

هذا التحول المسخي قضية مستمرة، بل هي متنامية، لذلك فهي قضية أساس تستمر مع الشاعر حتى ديوانه "ورقة من سفر الرؤيا"، وهو يطرحها في قصيدته "نهاية رجل مجنون" بوصفها أحد دوافع تهديد العقل بالجنون، يقول[٣١]

اليوم ينطق أبنائي لغة وينشدون تراتيلي علي هون

سود الوجوه استدار الفجر حالكة وكيف يورق بشراً وجه مأفون

من عوامل استلاب الأمة، وإضاعة هويتها- في هذه الرؤية الشعرية- خيانة أبنائها لها، حيث لم يكتفوا بإشاعة الفرقة والفتن، بل ساهموا في إباحة كيانهم بتخليهم عن نصرته، وصبرهم علي إضاعته، يقول الشاعر[٣٢].

أشكوك، أم أشكو الأحبة أخلفوا وعد الهوى والعاشقون تغيبوا

هؤلاء الأبناء- كما يصورهم الشاعر في قصيدته "فيروز: أغنية العش الأولي"- كسالي، فاقدو الهمة، راقدون بلا عزم بما يوجد المفارقة بين خورهم ومأساة الأمة، يقول:

كان الخليج دماء، والجليل أسي وفوق "بامير" سيل الظلم يستعر

أما أبناء الأمة، فقد:

استدفئوا علب الأسمنت، واحترقوا بدفئهم، والأسي يهمي وما شعروا

الخائنون والكاذبون عامل من عوامل استلاب الأمة وتعريتها من مجدها، ومن مستقبلها، من هؤلاء الخائنين بعض الشعراء، مقدمو الأوهام والكذب، كما يقول في قصيدة: "الكون الفسيح".

خدرتنا بعض القصائد عمداً أوهمتنا أن الرثاء مديح

فاتحتنا بكل فتح جديد تتجلي في مقليته الفتوح[٣٤]

الحب السلبي من عوامل هدم الأمة أيضاً لأنه يقف عند حدود الكلمة والحماس، والانفعال، ولا يرقي إلي مرحلة النزوع إلي الفعل، يقول:

ونذيب فيك حناجراً ذهبية فإلي متى نجني عليك ونكذب[٣٥]

الوطن، والأمة منتهكة بالشائهين المشوهين، مثل نموذج الشيوعي في قصيدته "الحروب الفندقية"، يقول د. صالح مخاطبا هذا النموذج:

"لست صادق

أنت أعداء القضية

أنت بعت الوطن الحر بعين بابلية

وترفعت علي كرسيك الأسود في تسعين طابق

تأمر القوم وتنهي

وتقول: الحق مسنود برأس البندقية[٣٦]

وفي رؤية حادة كابية، ومواجهة جرئية صادقة تتوجه أصابع اتهام الشاعر- في قضية إضاعة الأمة- للجميع، الذات في هذه الرؤية قاتلة لذاتها، والدماء تلطخ جميع الأيدي.

كما يصف الشاعر في قصيدته "هر مجدوه" حيث يقول: لمن يسميه "سيد الفتح":

لست وحدك، كلنا بعنا زهور البرتقال

كلنا في طور سنين بكينا

مثلما يبكي الرجال

وحملنا ملك كنعان علي رأس الصليب

بقلوب غامرة

وتبعناك فبعناهم يهودا، ولذا نعلن بيع السامرة [٣٧]

الإدانـــة القاســـية المريـــرة تتوجه للجميع كذلك في قصيدته "الأعمي وخيوط العنكبوت"، يقول:

حدثي الأجيال عن أحجية　　عن عقول أولعت بالزلل

قد وصلت ما وصلت لكنها　　بعد ما طال السري لم تصل

حدثي عن رحلة الأعمي الذي　　شاد بالبارود أزهي منزل

وارتمي في عمقه في كفه　　شعلة النار وكأس الحنظل[٣٨]

الخائنون لهم ملامح متعددة: في هذه الرؤية الشعرية، وهم في قصيدة "وصية حرام بن ملحان" عبيد شهواتهم وهواهم، يبيعون الأمة ويمزقونها لإرضاء مبتغاهم،

يقول الشاعر:

فند فيو الهوى، وما هز سيقا　　من ثني حاجبه قدر شيق

فوق أشلائنا أقاموا كيانا　　هامشيا تداس فيه الحقوق

مزقونا، وكيف يلتام شعب　　بين عينيه يولد التمزيق

خرقونا، فكل فرد لدينا　　برلمان، ودولة، وفريق

منذ عرفنا الهوي وهم ما استكانوا　　الفتوحات عندهم تعليق

نصف قرن من الجهاد استباحوا　　ما بني فارس، واعتلي ذليق

سوف يأتونكم علي ألف قلب فاوصدوهم حرجـ وأريتوا

وأقيموا علي الفجيعة عرسا وبخورا، فلحمنا المحروق[٣٩]

خـيانة الأمة وراء تعطيل قوى الفارس وكبواته في الرؤية الشعرية للدكتور صالح، الخيانة وراء تعطل قوى الشعر، وانتفاء فاعليته، يقول في قصيدة "فارس الضحي"[٤٠].

حروفي التي أنكرتها، نصف حزنها علي مثل هذا الوجه من أين تطرب

نكايتها من ألف وجه مقنع إلي أمة الإسلام يدعي وينسب

هوى يعربي بين عينيه فاقع وما بين جنبيه (فؤاد معرب)

أمانيه في الدنيا قصور منيعة وشيك، وكرسي وثير ومنصب

وهـو يصور هذه القضية بأسى وشجن في قصيدته "السيف والوردة" حـيث يـؤكد اكتمال عناصر النمو والإيقاع والحياة في كيان الأمة، لولا عناصـر الهدم الكامنة في هذا الكيان والمعاملة فيمن سماهم "المرضي"، يقول:

ما شكي دوحنا نميراً وظلاً إنما نشتكي من القوم مرضي[٤١]

ولـذلك يـوجه خطابـة الشعري إلي "البيد" رامزا بها إلي الوطن- بدلالاته الواسعة- ألا تلتفت إلى معطل المجد، وخائن القضية ، يقول في "تراتيل حراس ابن قتيبة"[٤٢].

دعي الذي جاء في كفه موبقة فرأسه حاسر والأفق محدود

دعي المخبين في ظلماء حسرتهم دليلهم سادر والباب مسدود

صور استلاب الأمة في التجربة الشعرية

مشاهد الاستلاب والإباحة للأمة متعددة، يتتبعها الشاعر في تجربته، ويعـددها، ويمزج أحياناً بينها وبين عوامل الاستلاب، بما يملأ قصائده- عبـر الـدواوين المخـتلفة له- بأسماء البلاد والمدن العربية والإسلامية المنتهكة الضائعة.

يقول في تقاسيم العشق الجنوبي"

جئت في خافقي الخليج وصيدا ومقاليع جيلنا الحطيني[٤٣]

وفـي قصيدته "وجوه وحقائب بدورية" يملأ الحقائب المشار إليها في العنوان بوجع أمته، ويجعل هذا الوجع الملامح المميزة للذات، ويقدمه في شهادة دامية. يقول:

جئناك يا مولاي موالا حزينا

فتشي حقائبنا، وقل ماذا لدينا

ماذا نجني في محاجرنا، ونحمل في يدينا؟

فتش تجد سيفا دمشقيا، وزيتونا وتينا

فتش تجد حزن العراق، "دم الجليل" "رمال سينا"

فتش تجد أنا نحاول أن نكونا[٤٤]

وفـي "قـراءة لعـوامل التعـرية" يصور وجع الأمة باعتباره دماء التكوين، يقول:

أنا ههنا، لكن حيفا في دمي وفمي بطعم صديدها تتحلب[٤٥]

وحـــين تـــبادره "قبيلة باهلة" بالمفاخرة بعزتها وصمودها- في طرح رمزي- يعدد لها مشاهد الانهزام الكفيلة بـحذيرها من تبدل الأيام، وذلك في إسقاط فني رمزي واضح علي واقع الأمة، يقول لها[٤٦].

لكنني أبصر الأيام كالحة ... في عمق عينيك لا غمطا ولا حسدا

لا تنسجي من خيوط الوهم مملكة ... ولا تقولي ليالي الدهر لن تلدا

فهذي الأرض، لا سيف باهلة ... وسط العجاج ولا صوت يرد صدي

تبكي "سمرقند"، لا خيل يصبحها ... ولا قتيبة يأتي وجهه مددا

"ونخل دجلة" أحزان مقوسة ... علي لظاها رمي أحشاءه تردي

مـــن معـــالم الاستباحة ضياع المعالم، وانطماس الملامح، حيث تبدو الأمـــة فـــي عين الشاعر كيانا ممسوخاً غير مميز، أو هو مميز بضعفه وذلـــه، بما يبدو من الدوافع التي تجدد أحزان الشاعر في قصيدته "أحزان جديدة" يقول:

أري أوجها لا لون فيها، خرائطاً ... تضاريسها جدب وصمت مغلف[٤٧]

أري أمة حيري، رؤاها كئيبة ... ومقلتها بيضاء والوجه أعجف

أخي: حين أحدو العيس للسير ينثني ... كئيبا ينادي: أوقفوا العيس أوقفوا

فأبصر قامات المطايا ذليلة ... يقيدها عن مبلغ القصد مرجف

تستمر هيمنة قضية استلاب كيان الأمة علي التجربة الشعرية للشاعر د. صـــالح الزهرانـــي حتـــى ديوانه "ورقة من سفر الرؤيا" لكنها في كل ديـــوان من دواوينه تمتزج بالمرحلة الشعرية له، وتبدو جزءً من دلالتها، فاســـتلاب الأمـــة في ديوان "تراتيل" مشهد من مشاهد إباحتها، واحتراق معالمهـــا، وفـــي ديـــوان "فصول من سيرة الرماد" يبدو جزء من مرحلة الترمد وغياب المعالم، وفي ديوان "ستذكرون ما أقول لكم" يصبح من بين

مقـولات الإدانـة والنذير، وفي ديوان "ورقة من سفر الرؤيا" يصبح هذا الاسـتلاب معلما من معالم الرؤيا المشار إليها في العنوان، ودافعا للبحث عن خلاص: خلاص الذات.

يقـدم الشاعر في قصيدته "أعراس الجلال" من ديوان "ورقة من سفر الرؤيا" مشاهد عدة لانتهاك كيان الأمة، وضعفها بيد أعدائها الذين تنوعت أسماؤهم، لكن بطشهم بالأمة وحقدهم عليها موحد مشترك، يقول:

المسلمون اليوم إما قائم	يشوي، وإما بالجراح معلب
يا سادة الحرف الشريف، أجلنا	في زحمة الأحداث لا يكذب
الحرف لغو حين يحني هامة	للغاصبين، لعرضه لا يغضب
وأنا أحدثكم، ووجه عروبتي	ساج، وأولي القبلتين يعذب
ومدامع الأطفال تغرق آهه	ودم الضحايا فوق دجلة طحلب
وشواهق الشيشان سيل عجائز	يطفو علي تلك الوهاد ويرسب
و "البند كوش" بنادق وبيارق	كل له باسم الصباية مذهب[١٨]

هذه الرؤيا المفجعة يطرحها الشاعر في قصيدة "أحزان معتقة" حيث تتضمن القصيدة "موتين" ورثاءين، ومذاقين من الأحزان هما رثاء الأمة، ورثـاء والدة الشاعر، ويتضافر الحزن عليهما معاً في بكائية واحدة، بما يجعـل عـنوان القـصيدة "أحزان معتقة" عنوانا ذا دلالة تاريخية ودلالة نفسية.

يخاطـب الـشاعر في هذه القصية (والدته المائتة) ويناجيها بأحزان أمـته، ويشكو إليها ضياع هذه الأمة، وهو بشكواه إلي المائتين- في هذه القـصيدة وغيـرها- يعبـر عـن مدى افتقاده لغة التفاهم والخطاب بين الأحياء، يعبر عن اغترابه بين الأحياء، وائتناسه بالموتى، بما يتجانس مع

هـــذا الوصـــف المفجع الذي وصف به أبناء أمته في القصيدة بأنهم قيام "غضوا أعينهم، وأسماعهم عن الحقيقة الواضحة.

يقول الشاعر:

حملت لأهلي الكلمات زهواً وأهلي مذ ولدت لهم نيام

فمن نهر الفرات إلي كوسوفو ظهور المؤمنين لهم حطام

وما مل الرصاص من الضحايا ولم يشك الزجاج ولا الرخام

ملايين تدك، ولا قرار فكل جيوش أمتنا خصام

نُساق إلي الفجيعة كل يوم علي حد السيوف لنا زحام

حياة الضنك مولود الخطايا وما أنقى الحياة لو استقاموا

ويوالـــي الشاعر وصف مشاهد الفجيعة والاستباحة إلي حد يصل فيه إلـــي التشكك في بهاء الماضي، وأمجاد هذه الأمة، ومدى ما كانت تشتمل عليه من بطولات، يقول:

كأن الطين ما عجن المثني ولا درج المغيرة أو هشام

غرائب ذا الزمان استوطنتني علي صدري تقام لها خيام

أري غصن القتاد ينوء تمراً وفرخ الباز يطعمه النعام[٤٩]

ضعف الأمة هو لغزها المُستعصي على العقل، هو أحجية المخلصين لهـــا، وهـــو الدلالة المقصودة من عنوان قصيدته: " لوغاريتمات عربية" فهـــذه اللوغاريتمات هى هذا السؤال، وهذا الغموض الواقع بين الماضي المـــتوثب لكياننا، وحاضرنا الآسن، هذه هى المأساة غير المبررة، يقول الشاعر:

الروم يخرجُ من أصلابهم قضبٌ ونحن ليس لنا كف ولا قضبُ

ظهورُ أحفاد سيف الله قنطرة للغاصبين، وسيف المدعي حطبُ
وللأساطيل فوق الموج دمدمة والراجمات على الشطآن تنتحبُ
والقدسُ في قيدها النارى راسفة وفوق طمي الرزايا ترقب .
مصفدون على ألواح حرقتنا تحتنا موبقاتُ الجرح تركبُ

هــذا الانــتهاك مأساة قديمة فى تاريخنا، كما يقول الشاعر فى ذات القصيدة:

فكلُ أوراقنا محروقة سلفاً من بعدِ حطين، والأعراضُ تُغتصب

هــذه الأمــة المستلبة، أو هذا الكلأ المباح، لا يجد غير حارس واحد يحمــيه، هــذا الحــارس هــو الشاعر الذى يمثل ضمير الأمة ووعيها، ووجدانها الصادق. وهذا الحارس أعزلُ، لا يملكُ من أدوات الحراسة إلا صــدقه وحــبه، وحــزنه وتراتيله لأمته، والتى هى قصائد حبه وعشقه، ورؤاه وإدانته، وتحذيره، وهو لهذا كله مستضعف يواجه قوى تضعضعه، وتضعف قدرته على حماية الكنوز، هذه القوى هى الخطرُ المحيق بالأمة مــن جهــة- وهو جزء من هذه الأمة- فضلاً عن خطر الجموع القافلة اللاهــية عــن مــصير أمتها، والتى لا تني تعطل الحارس عن حراسته بالــسخرية، أو الإعاقــة، أو بالغفلة، أو بإنعدام الحماس، أو البلادة- بما ســنطرحه فــى مواضع أخرى من هذه الدراسة- والحارس فى كل هذا محاصــر أيــضا بجــروحه، وحزنه، ووهنه الذى يتضاعف كلما ازداد إحباطه، وقوى يقينه من اللاجدوى....

يصلُ الحد بالحارس (الشاعر) إلى أن تفتقد تراتيله (قصائده) الأمن هى أيضا، والحرية، فتبدو فى مواضع كثيرة من الطرح الشعرى فى هذا الديوان مكمّمة محاصرة، مخنوقة القوافي، بما يُحكم بناء مأساة الأمة فى هــذه الــرؤية الــشعرية، وبما يمُهد تمهيداً عضويا- لبنياً- للوصول إلى

المرحلة التالية من مراحل طرح قضايا الأمة ونعني مرحلة" الرماد"، التي تبدو – وفق منطق الرؤية الشعرية- مرحلة طبيعية بعد مرحلة هذا الاحتراق.

غياب فاعليّة الكيان العربي الإسلامي:

غياب الفاعلية العربية والإسلامية محور موضوعي يهيمن على قصائد ديوان " فصول من سيرة الرّماد" على وجه الخصوص، كما يبرز في أكثر من قصيدة في الدواوين الأخرى للشاعر.

يصوّر الشاعر عبر هذا المحور انطفاء شعلة المجد، وغياب القوة العربية والإسلامية، واحتراق الكيان حتى بقاء الرماد شاهداً دالاً على ماضٍ، شأنه شأن شواهد القبور تدلنا على الجثث لا على الحياة.

في هذه الرؤية شمل الاحتراق الجميع، في ذات الموقد، كما يقول الشاعر:

" احترقنا بالمواويل ، كما يحترقُ المسلمُ في حوض أسيد"

وشواهد غياب القوة، وترمدها كثيرة في هذا الطرح، منها انطفاء النار في زند الفارس، وعجزه التام عن إشعالها كما كانت من قبل. يقول في " حاشية على الجرح":

فكيف تخبو النارُ في زنده وزنده نزاعة تقدح [٥٢]

والرمادُ في هذا الطرح هو المُتبقي من تاريخ المجد، ومن كيان الأمة، وهو" المتبقي من حزن الرجال" في القصيدة الحاملة لهذا العنوان: ويبدو الشاعر على رأس الرجال المحزونين ويصور ذاته في القصيدة ذاتاً شعرية حائرة لا تدارك كيف تبدأ فصول سيرة الرماد، التي هي ذاتها سيرة العار، يقول الشاعر:

ما أصعب العار من أين أبدأ العارا وكيف، أنشد يا تاريخ ما صارا

من أين لى لغة نشوى أحمّلها همي، فتحمل عن الثلج والنارا

يـصف الـشاعر تـاريخ العار- على حد تعبيره- فنجده هو تاريخ الـتحول مـن القوة إلى الضعف، هو تاريخ التنازل والتراجع والصغار يقول:

كانت مع " عمر المختار" ضابحة فلم تجد بعده فى القوم مختارا

كانت على عتبات الدار مورقة واليوم ضيّع فرسان الهوى الدارا

غـياب الـبطل الفارس من مشاهد الرماد، ومن دواعي انهيار بناء الأمة، وانهيار كيان الشاعر- الملتحم دائما بالأمة- حزناً وقهراً. يقول د. صالح :

يا أحرفي: لا تلوميني أنا بشر أرى الجدار الذى ما اهتز منهارا

أرى أسي فى وجوه الناس أمسكه ناباً يسافر فى قلبي واظفارا

فكيف أسكتُ عن جُرح يعذبني وكيف أكتب بعد اليوم أعذارا

يُعـدد الـشاعر فى هذه الرؤية معالم ترمُد الأمة، وفنائها، فإذا بهذه المعـالم هـي: ظلام الأرض، انعدامُ الخضرة تمكن الصبار من الحقول، اعـتداء الاحتـراق على جدار الأمة ووجوه الناس، ومعالم الأرض التى أوحـشت، والروابي التى كلحت فيها الحياة، ورقعة الوجوه التى تغيرت كلها وتحولت إلى معالم موت.... وحين تزدحم مشاهدُ الرماد على عينيه ووعـيه ورؤاه يتـساءل خائـرا حزينا:" من أين أبدأ" وهو تعبير يلازم قـصائده فى هذه السياقات، ويبدو بنية لازمة لها، كما سنشير فى الدراسة الفنية، يقول الشاعر:

من أين أبدأ ؟ كل الأرض موحشه

تمتد آفاقها طلاً وأستارا

صارت وجوه الروابي الخضر كالحة

بعد العراجين، صار الطلعُ صبارا[٥٤]

وهكـذا تبدو "أحزانُ الرجال" فى هذه القصيدة هى المتبقي من كيان الأمـة، وهـى أحزان متبقية- فى ذات الوقت- من هيمنة العار، وغياب الفارس، وتحول الخارطة، والجحود الذى يواجه به الشاعر.

يمزج د. صالح بين إدانته لأمته، وبين تصويره لمشاهد تراجعها فى قـصيدته " تعاـيق علـى ما قاله لقيط بن حارثة". يمزج ما بين مرحلة الاحتراق، ومر حلة الرماد، فيصف انعدام الوعي باعتباره سببا للضعف، ونتيجة له، وهكذا تبدو الذات الفردية والذات الجمعية ذاتا يتبطنها الذهول والشرود واللاإدراك فى هذا الطرح الشعرى. يقول الشاعر:

لا حامل السيف يدرى عن حمائله والمهرُ لا أدمن الجلى ولا ضبحا

فوق انحراف الزوايا، تاه فارسه لأن مبدأه للفتح ما اتضحا

ولم تزل للأيادى الحروف فما حراً، ومهرا حرونا يتقن المرحا

لكنها أمة الإسلام واقفة فوق اللظي تحسب الظلماء شمس ضحي

ولأن غياب القوة، وتراجع فاعلية الأمة إشكالية أساس فى هذا الطرح الـشعرى، يلـح الشاعر د. صالح على محور المقارنة بين ماضي الأمة وحاضرها، مدفوعاً بالألم والحيرة، والدهشة والاستفزاز....

وهـو فـى تصويره للماضي ولستعادته له يصف ماضي الأمة من خـلال ماضي الفارس، والخيل، والسيف، والحلم، والشاعر وهكذا ماضيا فـى مقارنات موجعة مفجعة، تبدو وكأنها الطريق الوحيد لتصوير رؤيته

ووعـيه بالمأساة، وتصوير مدى فداحة هذه المأساة. يقول -في تعليق ما قاله لقيطُ بن حارثة":

كانت خيولاً إلى الآفاق مشرعة	كانت صهيب وكانت البيع قد ربحا
وصارت اليوم سمارا، وفاكهة	أضحوكة، أصبحت للناس مثل جحا
دارت بنادورة التاريخ وابتدأت	دوامة أنجبت تسعين مصطلحا
لقيطُ، وقد تجرح الأحباب قصتنا	وأعظمُ الحب ما أنكي وما جرحا[٥٦]

الفارس قوة مغيبّة عن الواقع العربي الإسلامي:

تغييبُ الفارس عن الواقع الراهن لأمتنا من شواهد انهزاميتها وغياب فاعليتها، ومن معالم رماد الأمة؛ فالفارس على رأس الكيانات الفاعلة في ماضي الأمة، والتي احترقت ولم يبق منها إلا رمادها، الماثل في حزنه، وبقايـا قوته، وشواهد من أسلحته، ونشيجه الدامي وهو يتغني ببطولات قديمـة كانـت وولـت، وهو ينحاها على يقين بأنها لن تعود، أو ينعاها متسائلا بلهفة وحزن- في بعض السياقات- عن إمكانية عودتها.

الفارس قوة مغيبة لا غائبة في هذا الطرح الشعري، فهو لم يتخل عن أمته، ولم يتراجع، ولم يفقد حماسة وقوية وشجاعته ونخوته، لم يفقد شيئا مـن عناصـر الفروسـية، لكنه غيب، ودفع دفعاً إلى الانزواء والصمت والجمـود بفعـل العوامل الكبرى التي دفعت الأمة جميعها إلى الانحسار والتراجع،.... لذلك- وكما سنلاحظ في الطرح الشعري يتسمُ الفارس في الـرؤية الـشعرية للدكتور صالح- بالحزن والحنين إلى ماضيه المجيد، وتتخذ ملامحه دائما علامات الترقب والانتظار، ومحاولة قراءة الأحداث، واستشراف الآتي، كما يتصف في هذه الرؤية بمعاناة الوحشة والاغتراب، والمعانـاة مـن الجمـوع، واليأس من إمكانية الفاعلية،..... وكل هذه

الملامـــح تأكـــيد من الشاعر، وحرص منه على وصف الفارس بالتراجع الاضطراري عن دوره النبيل، فهو يعاني من الانزياح والإزاحة.

فـــي قـــصيدته " كائن بلا هوية" يصف الشاعر ملامح الفارس التى احتـــرقت، وتاهت،حتـــى صارت- كما تشير دلالة عنوان القصيدة- بلا هوية.

وحـــين يـــسرد الـــشاعر سيرة الفارس فى هذه القصيدة يثير آلامنا بالمقارنة بين ماضية، وحاضره. يقول فيما يشبه نعي الفارس:

كأنه ما أتاك الكون مبتهجا يوماً، ولا حف بالنجوى ولا احتفلا

ولا أرتمت تحت رجليك النجوم هوى والشمس ما شاطرتك البوح والغزلا

ونعـــاين ملامح الفارس فى الحاضر، فإذا هى ذاتها ملامحنا جميعا، وملامح هذه الأمة، إذ يبدو الفارس محني القامة والرأس والكبرياء، يقول الشاعر:

كيف انحني فيك هذا الرأس يا قمرا

بزهو عينيه كنا نضرب المثلا[٥٧]

وفـــي قـــصيدته " ترانيل حراس ابن قتيبة" يدير الشاعر مقارنة بين ماضـــي الأمة وحاضرها، ويصف كيفية التحول من الفتوة والشموخ إلى الخضوع والجمود، يقول:

" كانت البيدُ نهراً، تسيلُ رقابُ المطيّ على ضفتيه والقوافي، وغُصْنُ البشام، وكحل التصابي على مقلتيه.

كانت البيد تهتز من خفقة العيس لما يبوح الحداة

من السيف يحني رقاب الطغاة

من النقع مثل السحابة تحت السنابك

يصونُ الممالك

تحمي عروش الولاة

كانت البيدُ يا فارس البيد، فيها يصول الكماة

والفيالق والبرق، والبيرق الحرُ يعزفُ موالَ أبنائنا

الواقفين أمام الجذور مع نجمة الصبح، أثوابهم ملءُ

أفواههم يقفون القسي، يجلون وجه الرماح

ينادون حتى على الفتح

حيي على القصف

حيي على المتعبين السلاح[٥٨]

يمتلئ المشهد الشعرى فى هذا الجزء السابق من القصيدة بكل مفردات الفاعلية فى ماضي الأمة، فالصورة الشعرية يتواثبُ فيها النبض والحياة وعوامل الإنبات والخصوبة- وهذه هى سمات الصورة الشعرية فيما يتصل بماضي الأمة فى قصائد د. صالح دائما كما سنعاين عند تحليلها- تتزاحمُ فى الصورة رقاب المطئ، والقوافي، وغصون البشام، والعيسُ والحداة والكحل، ونقع السنابك، والكماة، والفيالقُ، والبرق والبرقُ، حرّاس الحذور، ثاقفو القسي، والمتعبون السلاح.... هكذا تتجاور عناصر الحياة، والرجولة، وجمال الكون، والأعراض المصونة، والكرامة المنتصبة فى ماضي الأمة....

وحين ينتقل بنا الشاعرُ إلى الحاضر الراهن، ينتقل إلى دلالات مغايرة، وصورة شعرية مضادة للسابقة، ومناخ نفس مباين، حتى نستشعرُ أننا ننتقل إلى لون جديد من الرثاء العربي، هو رثاء الهوية والكيان الجمعي، وهو لونٌ جديد من الرثاء أفترضُ أنه وجد فى الشعر العربي بوضوح باكتمال فني ورؤيويّ منذ نكبة فلسطين ١٩٤٨م وهو يختلف

تمامـــاً عن رثاء المدن والممالك الذى صاحب سقوط بغداد فى المشرق، وسقوط الدويلات فى الأندلس، بما يحتاج إلى دراسة نقدية مستقلة.

ينـــتقل الشاعر إذن إلى هذا المناخ المأساوى حين يستعرض حاضر الأمة واصفاً غياب القوة والفاعلية، يقول متابعاً فى ذات القصيدة:

كان يا ما كان يا ابن قتيبة
وطوى البيدَ كفُ الزمان
فلا الوجه وجه المليحة
ولا العاشقون هم العاشقون
كأن لم يطف فى رباها المثني
ولا خالد بن الوليد
ولم يتغن (امرؤ القيس) بالدوح فى (حومل) و(الدخول)
ولم ينشد العوذ فيها " لبيد"[٥٩]

وكمـــا تـــتحول عناصر الأمة من القوة إلى الضعف، تتحول الأرض برمتها، ويتحول الشعر أيضاً، وترين عليه مظاهر الضعف ويفقد تأثيره. الشعر يصاحب الأمة فى رحلتها دائماً فى هذه الرؤية الشعرية، فى أزمنة الضعف، وأزمنة القوة وهو يحمل مع هذه الأمة أقدارها، ويلجُ معها ذات المصير. يقول الشاعر:

" البيدُ يا ابن قتيبة ما عادت البيد
والشعر ما عاد – فيما يقولون– يهتز منه الوريد
يقولون : مات الوريد
يقولون : مات النشيد"[٦٠]

وفـــى قصيدته " شهادة حياة" يجعل الشاعر تغييب الفارس جزء من تـــراجع الأمـــة، لـــذلك يبدأ قصيدته بوصف مظاهر الضعف فى الذات العربية، وكيفية تحول الحياة إلى شيخوخة وذبول، يقول:

شاخ الهوى، والتوى القيصوم والشيحُ

وأورقتْ بين جنبيك التباريح

وكيف لا.... والعرانين التى سجدت

لها الدني، ماؤها للبيد مسفوحُ

وكيف لا،والسيوف البيض مطرقة والفتحُ أغنية سكرى وتصريح

تبدأ القصيدة بشهادة فناء لا" شهادة حياة" – كما يعدُ عنوانها– إذ يغلب الفناء على كل عناصر الكيان بادياً فى: ذبول الهوى، والقيصوم والشيح، ضياع ماء العرانين، إطراق السيوف، بدد دلالات الفتح.

وهـــنا ينـــتقل الـــشاعر إلى أقوى مظاهر الفناء، ونعني تراجع قوة الفارس،ونلاحظ هنا أنه يطرحُ هذه المظاهر فيما يشبه المونولوج، وكأن الفارس هو الذات، ذات الأمة وذات الشاعر. يقول:

يا غارقا فى رماد الحزن، أتعبني أن تتطفى بين عينيك المصابيح

أن يصدأ العزم فى الجُلى كما صدئت فى راحتيك المرايا والمفاتيح

يا غارقا فى وعود الزيف، خدّرنا وعد،وباب إلى اللاشئ مفتوح

تتغلب معالم الفناء كل كيان الفارس فهو: غارق فى الحزن، منطفئ المـــصابيح، صـــدئ العزم....،كما يلحق الوهن بما يتعلق به من رؤى، ومفاتيح المجد، والفعل.

المناخ العام الذى يحيط كيان الأمة والفارس مناخ وعود زائفة، مناخ تخديـــر، لذلك فالأمة تقف على أبواب مفتوحة على اللاشئ، مفتوحة على ضياع.

يقص الشاعر سيرة الرماد، ويعود بالذاكرة مسترجعاً أطرافها، يقول:

خمسون عاماً على الأشواك مبحرة جلودنا، والفؤاد الحر مذبوح

خمسون عاما، تعاويذ وهمهمة أحجية سرها المكنون مفضوح

سيرة الذات العربية والإسلامية فى هذا الطرح إرهاق، ومكابدة وفؤاد مذبـــوح، ووعي ناقص يتجلى فى الهمهمة والتعاويذ. لذلك يقول واضعا المحاولات للوصول إلى المحال:

نخيطُ فى الصخر ازهارا، وقافية موتورة، عاشقاها الصمت والريح

وأنهر الخوف تجرى فى مفاصلنا وفوق أهدابنا تمسى التماسيح

يتجلـــىّ الـــضّياع واضحاً فى الصورة الشعرية هنا، مائلاً فى ضياع الأزهار بالريح، وضياع القافية بالصمت والخوف، وانعدام الرؤية هذا كله يمثلُ معا حاضر الذات المترمدة.

لكـــن الشاعر يشير فى نهاية هذا السرد التراجيدى لسيرة الكيان إلى اشتمال الرماد على جمرة كامنة، يقول: (٦١)

إن كان فى قلب من أحببته صدأ فسوف، يصقله الله تسبيحُ

أجسادنا ربما ماتت، وقد بعثت رفاتنا، لم يزل فى عمقها روح

هــذه الروح هى الجذوة الباقية فى الرماد، هى الجمرة التى لم تزل، والتـــى – ربمـــا– أراد الـــشاعر من خلالها أن يشير إلى إمكانية الحياة، والبعث من جديد، ولهذا عنون قصيدته بـــ" شهادة حياة".

فى قصيدة " مرثية الفارس المستقيل" يصف الشاعر أيضا فعالية الأمة والفارس فى الماضي، يصف الطموح الذى لم يكن يهدأ، إلى أن استدارا الزمان، وران الركود على هذه القوة، يقول ويخاطب الفارس فيما يقول:

ما استرحنا، والكدح يبدو جميلاً حين يأبي الغرام ألا يريحا

واستدارت عقاربُ الوقت غربا فبدا قصرنا العظيم ضريحا

والدماءُ التى أرقنا، تجلت بين عينيك نصرة وفتوحا

نصف قرن طحنتنا ما تعبنا ما شكونا لمن نحب الجروحا

واختصرتم جهادنا فى سلام صار فيه العدو خلا نصوحا

يقول واصفا كيف كان قهرُ القوة، وإحباط عزم الفروسية وخيبة الثأر العربي:

وشطبتم وجوهنا بقرار ورجعتم بغزة وأريحا

نصف قرن كنا نعاقر وهما لم يكن يملك المناضل روحا[٦٦]

الأمـــة فى قصيدة " الريحانة" ريحانة ذاوية ذابلة، واقعها مدمي، فقد تـــشتيأت، وتـــشظت، حتى تمكنت منها هزائمها ....،وحتى اعتادت على مذاق الهزائم، ولم تعتد تستنكرها يقول د. صالح:

على أنقاضنا ولدت صروح وفوق جباهنا حفرت ندوب

وتحت وجوهنا نبتت وجوه على قسماتها نبت الشحوب

وبين ضلوعنا بدأت حروب وفوق ظهورنا ختمت حروب

شظايانا تطيرُ بلا شظايا فنصف بلاد أمتنا جيوب[٦٣]

فـــى مثل هذا الواقع تصبح شهادة الشاهد على العصر- فى أى هيئة كان هذا الشاهد- شهادة على التردد والتحلل للكيان يقول الشاعر:

" يرســـم

أ

ن

ا

ت

جريح

يرســـــم شيخـــــاً، فـــــوق ذبيـــــح

يرســـــم أمـــــه

تخـــرج من عمـــــق

ض

ر

ى

ج " [٦٤]

الـــشاهد علـــى العـــصر فـــى هذه الرؤية، شاهد على عصر الهشاشة، والقتلى، والأضرحة، والموت، فى هذه الرؤية الشعرية المجابهة.

هــذه القــراءة المــرهفة الواعية لواقع الأمة، دفعت الشاعر إلى إيجاد صورة جديدة ودلالة جديدة لمفهوم " الطلل" الذى عايناه فى الشعر العربي القديم، حيث تبدو الأمة فى الطرح الشعرى للدكتور صالح الزهراني ذاتها أطلالا خربة، رسوما دارسة، متهدّمة فى كل مشاهدها ونواحيها، ونعاينُ فى هذا الطلل مفرداته، ولكن بدلالة جديدة، نعاين النؤى والرسوم والقتاد والــريح والبعر وآثار الأحبة، ولكن فى طرح مغاير...، حتى كأن الطلل الجاهلى يمتد فينا- بما سنعينه عند تحليل البنية الفنية لقصيدة د. صالح – نرى مشهدا ونموذجا لأطلاله الجديدة فى قصيدة " سؤال" حيث يقول:

قرأ الكف والوجوه الحيارى والزوايا وما طولة الظلال

فاستبانت صُبّارة وقتاد ورسوماً تحثو عليها الرمال

وجهات تداخلت، فتناءت وتلاشي جنوبها والشمال[٦٥]

تــولدت المشاهد الطللية من ملامسة عجز الأمة فى واقعها الراهن، هذا العجز الذى فرض وجوده على المعجم الداخلى والصورة الشعرية فى هذه التجــربة المتميــزة، حتى إن شواهد الحياة، وعناصر الكون فى قصائد د. صــالح تقع دائماً فى شراك الموت والقيد، والفناء. يقول فى قصيدة " سؤال":

إنّ غصنَ الأراك يحيا كسيحا وتموتُ النخيلُ وهى طوالُ[٦٦]

الحزنُ: دلالاته الخاصة ومثيراتُه الرؤيويّة

الحــزنُ الــذى يصفُ د. صالح مكابداته ومذاقاته فى تجربته الشعرية حــزن عمــيق غائر متولد من رؤية عقلية ناضجة واعية للواقع، والحياة الإنــسانية، مــتولدٌ مــن خبرة، وطول تأمل ومقارنة بين أطوار الزمان، ومــراحل التاريخ، متولد من وعي بأطوار الأمة وتحولاتها، ومقدراتها،

وإمكاناتها، وكبواتها الحزن هنا موقف رؤيوى عقلي هيمن على الوجدان، وليس مشاعر عابرة آنية: نابعة من عابر آني تزول بزواله.

وهـذا الحـزنُ بهذا المذاق، وهذا العمق هو المتبّطن للتجربة الشعرية للدكـتور صالح، الحزن باعتباره موقف فكرى نابع من مأساة الأمة، نافذ مخترق لمظاهر السطح الخادعة إلى حيث عمق عظام الكيان العربي وما خلف العظام!

والشاعر هنا فى هذا الطرح لا يعي كونه حزيناً فقط، ولكنه واع بدرجة حزنه، ونوعه، وبأن حزنه موقف من الواقع لن يزول إلا بتغيير تاريخي متفجـر، حزن يتبطن فى داخله الغضب والرفض لانهزامينا، ممتزج فى ذاته – فى نفس الوقت كمفارقة– بمشاعر كثيرة تجتاحه من اليأس والأسي والانهزامية!

بهـذا الـتعقد يبدو حزنه الطاقة التى يشحن بها وجوده كما يصوره فى قصيدته " لغة خارج الأبجدية" يقول:

أنا مشحون من الصمت إلى الصمت

إلى بر السكون

فى صهاريج من الأحزان غادرت معي كفي ووجهي ويقيني

وحروف نبضها قلب أب بر، شجى أم حنون

أنا مفتون بأحداق الثكالي

مبحرٌ فى دمع أبناء الشجون

مورق فى الصخر، مكتوبٌ على الماء بأقلام السنين

أنا مقتول بأحلامي ، وآلامي، وحدسي وظنوني

فى دمي أشعلتُ تاريخي حريقاً، وتدليت

على النار بجذعي وغصوني

فنما فوق رمادى قمر حر

وساقا زيزفون"[٦٧]

وفى قصيدته " طواف" يصف الشاعر حزنه بأنه امتداد لحزن أمته، وأنه نابع من حزنها، يقول:

يا قبلة العشاق نصف قصائدى

حزنُ لحزن الناس، لا أتنكر[٦٨]

ومثيـــرات الحزن، ودواعيه فى هذه التجربة الشعرية ليست فردية، هى نابعة من حال الأمة، لهذا فإن سيرة حزن الشاعر، هى سيرة تاريخ الأمة، وتكـــون مراحل ضياع مجدها، هى ذاتها تاريخ أحزانه، يقول فى " البكاء دماً":

بالأمس كان يكيلُ الزهوُ مبتسماً والليوم وجه عبوس غير مبتسم

بُنيّ هذه هى المأساة ماثلة فانظر بربك من خصمي ومن حكمي

كانت سنابك خيلي فى جماجمهم مغروسة، وعلى أكتافهم علمي

فأصبحت قبلتي الأولى منكسة لما تبعت إلى درب الرّدى قدمن

ودعته وأنا أبكي على زمن الحق فيه عذا ضربا من التُهم

أبكي، وأعلمُ حجمي يا معذبتي فالهمُ أكبر من حجمي ومن هممي

لكنني أحمل الأثقال محتسباً فالنوم فوق الرزايا ليس من شيمي[٦٩]

يصف العلاقة الجدلية المعقدة بنية وبين مجتمعه، وأمته فى قصيدته " فى حضرة الملكة"، هذه العلاقة التى يكون فيها ضعف الأمة مفجراً لحزنه دائما، يقول:

يضيق رحبُ المدى بى، ينطوى بيدى

فى الهم، لا فرق بين الشام واليمن

عمامة من صفاء البوح ألبسها

غلالة من نقيــع الحــزن تلبسنــي

أمتدُ فوق الفيافي خضرة، لهباً

ضدان، ما ذنبُ هذا القلب يا وطن

أنا أبوحُ، وأنتِ أحرفى ودمي

وأنت كل الذى يأتــي به زمنــي

المأســاة تــشمل الــشاعر والأمة فى هذه الرؤية، فالصلة بينهما صلة مشيمية، لذلك يحتلُ كيانه الحزنُ حين يخيب ـاء الأمة، فيعجز أن يأتيها فارســاً فادياً، كما كان يفعلُ فى الماضي المجيـ ـنه الآن عاجز مثلها، يقول الشاعر فى ذات القصيدة السابقة:

أنت تصبين فى قلبي، فأمخضه ... وليس ذنبي إذا ما راب ـ لبني(٧٠)

أنا وأنت خلقنا هكذا وهنا ... شربت منك المآسي فاشربي وهني

كم كنت أمل أن آتيك معتجراً ... سيفي، يسوقون قبلي ألف مرتهن

أغد أجرد طواحا، وأغنية ... كأنني فى الهوى" سيف بن ذى يزن"

لكنني جئت منكوسا، وراحلتى ... عرجاء، أقبلت أبكي لابسا كفني

فلا تزيدى جراحي وأفهمي لغتي ولا تبيعي، كما باعوا بلا ثمن

تفرسي فى عيوني، واقرئي تعبي فأنبكُل الناس من يُطوى على حسن

هات فؤاداً بليداً، لا يؤرقه همّ الورى، وخذى شعرى بلا شجن

" البكاء دما" فى هذه القصيدة، والحزن حتى النُخاع يتولد من مشاهد سلبية الأمة، لذلك لا نعاين الحزن فى شعر د. صالح مرهوناً بمواقف شخصية، لكنا نراه يتعلق دائماً بأحوال الذات العربية، يقول:

أبكي دماً إذ أرى القعقاع عائدة فلوله بين مأسور ومنهزم

تشجيه هذه البطولة الغائبة المغيبة، لا لتراجعها فقط، بل لإذلالها فى الواقع الراهن، وهذا أحد مسببات حزنه، يقول مسقطا واقعة على شخصية " القعقاع":

أبكي دماً، إذ أرى (القعقاع) فى يده قيد يُساق به فى (هيئة الأمم) (٧١)

إباحة الكلأ- أو – استباحة الكيان من دوافع هذا الحزن كما يبدو فى قوله:

أبكي دماً يا مدار الشعر، حين أرى مهد البشارات ينبوعاً لكل ظمى(٧٢)

والحزن من بين مفردات الصراع بين الشاعر الرائي، والمجتمع الغافل اللاهي، كما يصور الشاعر فى قصيدة" الكون الفسيح" مخاطبا " الآخرين" الذين توقف نبضهم عن الإحساس بالواقع، وتلمس حقيقته، يقول:

لا تلمني، فلا يلام الجريح حين يشكو، وحين تشكو الجروح

لا تلمني، فلا يُلام طريد لا يُلام المظلوم حين يصيح

لا تلمني. لم خافقاً بين جنبيك لم يخفق، لم تحتضنه القروح

وأنا لن ألوم من مات حسا إنما اللوم للذى فيــه روح

لا تلمني: وجهي يلوم صنيعي وفؤادى فوق المآسي طريح

كم أرى فى الوجوه مثلك وجهاً عربياً، عن كل خير يشيح[٧٣]

يطرح د. صالح الحزن والوعي متلازمين فى تجربته الشعرية، فتاريخ حــزنه هو تاريخ وعيه بموقفنا الحضارى، هو تاريخ وعي الشعر. يقول فى " سؤال":

منذُ عشر، والشجوُ يغزل شعرى فحروفى قوافل ورحال[٧٤]

ولأن الشعر والشاعر كيانان متضافران فى طرحه، يصف الحزن بأنه صيغة قصائده، ويصف شعره بأنه نسج من خيوط الأسف، يقول د. صالح فى " بهو الفيروز"، واصفاً القصيدة:

غني لها الغواصُ، جاذبها حبلَ الدلال، فكاد ينخطفُ

ألقى شباك الصيد، أرهقها فأتت، وملء خيوطها أسف[٧٥]

ولأن الحــزن جــزء مــن تكوينه، نرى فى كثير من قصائد د. صالح اعتراض هذا الحزن اللحظات الإنسانية للشاعر، فهو يقتحم عليه إحساسه بالأبوة، يقول شاكيا لابنته " أروى" هذا الحزن المتوطن فى الفؤاد:

يضيقُ المدى فى ناظرى يا صغيرتي وحين أرى عينيك أتركه رهوا

تحاصرني الأشجان من كل جانب ومن أجل هذا الوجه أبتلع الشكوى

والاغتـــراب أحـــد بـــوابات الحزن ومداخله فى هذه التجربة الشعرية، اغتراب الرؤى، واغتراب الوعي، ويقين الشاعر من انفراده بهم الضمير الجمعي دون جدوى، حتى يبدو الحزن قدراً لا فكاك منه. يقول فى قصيدة "توازن":

صرتُ للحزن قبلة ومطارا، وموطنا

فالأسي لم يجد له غير جنبي مسكنا

إنها قصة الورى يتعبُ الفقر والغني

كم فؤاد محجل ضوؤه قندل التّني

طار فى غير سربه فتهادى وأذعنا

فخذيني بلوعتي واقبليني كما أنا[٧٧]

البحث عن الحقيقة.... البحث عن الخلاص:

ظاهـــرة شـــعرية مميـــزة يلحظهـــا النّاقد والقارئ فى شعر د. صالح الزهرانـــي، هـــى امـــتلاء هذا الشعر بالأسئلة، أسئلة حول كل ما يتعلق بالوضـــعية العربية والإسلامية فى الماضي والحاضر يبحث الشاعر عبر أســـئلته هذه عن أسباب ضياع المجد والبطولة، وغياب الفارس، غموض المصير، كما يبحث عن أسباب الخلاص، وإمكانية البعث، وخروج الحياة من رماد الذات المحترقة.

وأية الكثرة اللافتة لاسئلة الشاعر فى حد ذاتها تدلُ على انشغال الوعي بتفاصيل الواقع، ويقظة الوعي بقضية المصير، كما تدل أيضا على حيرة العقل أمام إشكالية الأمة.

الأسئلة الشعرية حول المصير:

من بين الأسئلة التى يطرحها الشاعر: السؤال عن أسباب تراجع الفارس العربـــي، وذلـــه، وموت شموخه وكبريائه، السؤال عن منبع هذا التحول الذى أتاه. يقول فى " كائن بلا هوية":

من أى نهد شربت الصمت والوجلا وأمهاتك صيرن الشجي أملا

من أين عممت هذا الذل ما عرفت أرضُ الشياهين لا نسرا ولا حجلا

ويـــصل بـــه الأمر إلى حد إنكار الفارس، لأنه يحمل من ماضيه بقايا ملامح تشيرُ إلى الكيان الذى قد كانه، لكنه مع ذلك ليس فيه روح الفارس القديم ونفثه، يقول الشاعر:

كيف انحني فيك هذا الرأس يا قمرا بزهو عينيه كنا نضرب المثلا

يبحث الشاعر عبر أسئلته عن هذا الفارس، بعد أن افتقده وطال الشوق إليه، والحاجة إلى وجوده، يقول فى قصيدة " واقعة":

كنتُ أسأل عنه الثرى وغصون البشام

كان يأتي فأسأل عنه دم الكائنات

يقولون: مَنْ هُم ؟![٨٠]

يطـــرح الشاعر أسئلته عن عجز الأمة: من أين أتاها؟ وكيف وقع ذلك الخطأ التراجيدى" الذى أزاحها من موضعها؟ وكيف جمد سيْفها وصدئ؟ يقول فى " هر مجدوه":

" أيها السيفُ السديمي المحنط

كيف نغلط؟ "[٨١]

ويقول على لسان " الجندى العراقي":

قال لنا : ما بالكم

مسمرون فى مكانكم"[٨٢]

وهـــو يسائل الأمة- التى أسكنها رمز " قبيلة باهلة" – عن صنيعها فى الخطوب والأزمات. يقول فى" مذكرة قبيلة باهلة".

مـــــاذا تصنعيـــــن إذا ألوى بك الخطبُ أوحل الظلام عدا

وحـــين تتزاحم عليه مشاهد الانكسار والضياع والأسي، يسأل الشاعر الـــضمائر التى تستمع إليه، – أو يسأل ذاته- من أى مشهد مأساوى يبدأ وصـــف المأســـاة؟ وهو يعبر بهذا السؤال عن كثرة مآسينا، وتعقد موقفنا التاريخي، يقول فى " ما تبقي من أحزان الرجال":

ما أصعبَ العار من أين أبدأ العارا وكيف أنشدُ يا تاريخُ ما صارا

ويسأل مستنكراً- فى القصيدة السابقة- عن إمكانية تجاهل الشعر لمأساة الواقـــع وانـــشغاله عنها، عن إمكانية فكاك الشعر من المسؤولية والاعتام والتأزم، يقول:

فكيف أسكتُ عن جرح يعذبني وكيف أكتبُ بعد اليوم أعذارا[٨٤]

ويقول فى موضع آخر:

فكيف أكتم حرفاً بالأسي نضحاً[٨٥]

الـــشاعر فى سؤاله السابق يستنكر أن يتخلىّ الشعر عن التزامه بهذه القـــضية، يـــستنكر أن يكـــون له شغل غيرها، مؤكدا أن دور الشعر هو التعبيـــر عن أزمة الأمة التى لا يستطاع تجاهلها بحال، ولذلك- وبما أن هـــذا الأمر من المسلمات بالنسبة إليه- تصبحُ قضيته ليست مدى إمكانية

التـــزام الـــشعر، أو عـــدم التزامه، بل كيفية العثور على لغة. وإمكانات تعبيـــرية تصوّر صدق انشغاله وتعبّر عن رؤاه. وتصف الواقع كما يجب أن يكـــون، يسأل عن هذه اللغة، وهذه الإمكانات فى " ما تبقي من أحزان الرجال"، يقول:

من أين لى لغة نشوى أحملها همي، فتحمل عني البلح والنارا

من أين يا أمة أمهرتها ألقي سقيتها من شبابي الغض أنهارا[٨٦]

كما يتساءل فى قصيدة " الريحانة" – متشككا– عن مدى جدوى الشعر، وفاعليته، وتأثيره فى الواقع، يقول:

ولا أدرى إذا أسرجتُ شعراً أشق به الركام، من المصيب[٨٧]

إشـــكالية الأســـئلة هى أنها متضافرة فى هذا الطرح الشعرى، فالشاعر مثقل بالأسئلة، ومثقل بحيرة البداية: بداية المأساة التى تجول فيها أسئلته. ولذا– وكما أشرنا سابقا– يكثر فى قصائد د. صالح " بنية تعبيرية" مميزة لـــشعره هـــى قـــوله " من أين أبدأ" ، وبنية أخرى ملازمة لها هى:" ماذا أقول؟" دالتان على تزاحم الرؤى وكثرة المقول، وتعدد بقاع الطلل العربي فى مخيلة الشعرية. يقول فى " ما تبقي من أحزان الرجال":

من أين أبدأ كل الأرض موحشة تمتد آفاقها ظلا وأستارا[٨٨]

ويقول فى موضع آخر:

من أين أبدأ والمشاعر جمة من تحت جلدى نبضها يتفجر[٨٩]

كـــيف يقوم الشعر برسالته؟ سؤال مما يقض فكر الشاعر – لا مضجعه فقط– يقول فى " فارس الضحي" :

وها هى حروفي مسرجات ظهورها لأمتها، لكن من أين تركب[٩٠]

إعـياء الـشعر، وإجهاده قضية من القضايا التى يطرحها الشاعر من خلال أسئلته، وهو يسوقها على لسان صبي صغير يرمز للمستقبل الوارث للهموم، يقول فى " اعترافات شاهد الموت".

فيرى صغيرى أحرفي تعبت فيقول: ما للحرف يا أبتي؟ [٩١]

ومـثلما يتساءل الشاعر عن أسباب التمزق، يسأل عن إمكانية الالتئام، وعـودة القـوة بعد ضعف، يقول فى " وصية حرام بن ملحان" فى هيئة استنكار واستبعاد:

مزقونا، وكيف يلتام شعب بين عينيه يولد التمزيق[٩٢]

وفـى قـصيدة " سؤال"، يطرح الشاعر عدة أسئلة يصفها بأنها محال، لأنهـا تدور حول تفاصيل المأساة، وأسباب غياب موجبات القوة، وصدق القول. وكيان الفارس، والسيف. يقول:

" يا أبـــي.... للحروف عندى سؤال

مستحيل ، وكل عـــذب محـــال

فلماذا لا تصدقُ الأقـــــوال؟

ولماذا لا ينحب السيف سيفاً

ولماذا لاتزأر الأشبـــال" [٩٣]

يـسأل الـشاعر عن الحرية الغائبة، وعن إمكانية بعث أمة مقهورة مكممة، يقول فى " طواف":

من أين يصدحُ شاعر بقصيدة والرعبُ يضحك والمدافع تزأر

قل لي بربك: كيف تنهض أمة يبني لها البغضاء هذا القصور

إن أسئلة الشاعر في هذا الطرح المتميز بلا إجابة في الغالب، وفي بعض المواضع يحيل الشاعر أسئلته إلى التاريخ ورموزه، إمعانا في وصف العجز عن إجابتها، أو العجز عن المجاهرة بهذه الإجابة، أو إمعانا في وصف الحاضر بالغيبوبة، والماضي والوعي. من بين هذه المواضع الحاملة لهذه الدلالات قصيدة" تلويحة"، حيث يتساءل الشاعر دهشاً عن المحبين المخلصين، أين غابوا، لماذا غابوا، وكيف صارت دماؤهم ماء وتغيروا، يقول:

" حينها قلتُ يا عمتي : كيف صارت دماء المحبين ماء

فأغضت

وقالت : أجب يا عُمر"(٩٤)

تدور أسئلته كثيرا حول اغترابه، وتثير هذه الأسئلة شعوره بالاستنكار من مفارقة أن يجازى على حبه للأمة بالإزاحة والإبعاد والإيحاش، يقول في " السيف والوردة":

في طباع الحياة سر عجيب كيف هذا الهوى يولد بغضا؟

رغم كثرة هذه الأسئلة مما أوردنا منها، ومما لم نورد- نلاحظ وجود دلالة متكررة متعلقة بهذه القضية في شعر د. صالح وهي تأكيد معاناته الداخلية من أسئلة لم يطرحها، ومكابدته من كثير منها مما لم يشتمل عليه شعره، لذلك فهو يكثر من الاعتراف بأنه لم يقل بعد أسئلته، ولم يذكر منها ما يجب ذكره، يقول في قصيدة " الهدف":

" ولما سألتك عمّا جرى"(٩٦)

ويقول في " بهو الفيروز":

وتظلُ فى الأعمـــاق أسئلة فيها جواب الناس مختلفُ[٩٧]

يـــضع الـــشاعر علـــى كاهـــل رموزه وأقنعته التاريخية عبء إلقاء الأسئلة، والإجابة عليها، وفك طلاسمها، وغموضها، فيجعل- على سبيل المـــثال- الهـــم الأكبر لشخصية" السندباد" هو البحث فى الأسئلة، فيبدو السندباد فى قصيدته المسماة بهذا الاسم وكأنه مسافر عبر الأسئلة لا عبر الـــبلاد، وتبدو الأفطار التى يواجهها هى خطر غموض الأسئلة المتعلقة بالمـــصير، وليـــست خطـــر الرياح والبحار والوحوش، ومع ذلك يترك السندباد لنا، وللشاعر باب الأسئلة مفتوحا، يقول:

" مع كل هذى المتاهات فى الحسن يبقي السؤال ويبقي

المسافر فى أليم يجثو على كاحليه يصارع مد الجمال

وجزر الجلال فإن غاب لا تبحثي عن سبب"

الـــسؤال فـــى هـــذه التجربة الشعرية- منبثقة الحيرة والألم والعذاب الإنساني، لذلك يهدى الشاعر تلويحته، ويوجهها للسؤال المتجذر فى الدم، والجواب الحائر فيه، يقول:

" للسؤال الذى لم يزل فى دمي غائرا

للجواب الذى لم يزل فى فمي حائرا"[٩٨]

دلالات الرحلة فى التجربة الشعرية: البحث عن الرؤية:

تـــيمة الـــسفر والارتحال تيمة مميزة فى شعر د. صالح، بارزة فيه وتـــبدو عـــند ربطها بظاهرة الاسئلة فى هذا الشعر، وكأنها مدفوعة بهذه الأسئلة، وكأنها نتيجة لكثرتها وزحامها على عقل الشاعر، وكأنه يرتحل ويـــسافر- وفق دلالات السفر التى سنراها فى شعره- بحثاً عن إجابات

لأسـئلته هذه، وهربا من غموض محيطه، وانعدام الإجابات الشافية، أو هربا من مواجهة الحقيقة المؤلمة.

تـبعاً لهيمنة فكرة السفر على هذه التجربة الشعرية تتردد كل طقوس الارتحال فى القصائد، وكذلك كل أدوات السفر بدلالتها الحقيقية والرمزية، ويتزيـى الـشاعر بـزى المرتحل الجواب، ويُلبس شخوصه التاريخية والرمزية هيئة الشعر دائما.

الشاعرُ فى هذا الطرح إما مسافر، أو معتزم للسفر، أو مرتج له، أو عائـد مـنه بصيد ما، قد يكون الرؤية – وهذا الأساس– وقد يكون الألم والندم– أو الإحساس بالقهر والعذاب، أو صدمة تلقي الحقائق.

تـرتبط فكـرة الـسفر فى هذا الشعر بالبحث والتنقيب، وطلب غاية يُـصرح بهـا الشاعر فى مواضع، ويجعلها غامضة فى مواضع أخرى، ويـشير إلـيها إشارات رمزية فى مواضع ثالثة بما يمنحها أبعاد رؤيته الفكرية.

والارتحـال أو السفر فى هذه التجربة الشعرية يكون فى الغالب بحثاً عـن تفسير لإشكاليات الواقع العربي والإسلامي، بحثا عن الخلاص من وضعيتنا المتأزمة التى حوصرت فيها ذات الأمة وذواتنا الفردية المهمومة بهذه الأمة.

السفر فى هذا الشعر بحث عن رؤية كلية، وبحث عن رؤيا أيضا بما تتـضمنه هـذه المفردة من إشعاع دلالى يمنح الإيحاء بالإلهام والحدوس واختراق المجهول، ويصرح الشاعر فى كثير من المواضع بغايات السفر والارتحال كما يقول فى " قصيدة لم تكتب":

بحثاً عن الرؤيا عن الأغرب عن كل معني فى الهوى معجب

مسافرت من نأى إلى غربة من نجمة ولهـي إلى كوكـب

أداهم الأفكار فى وكرها أصطـــادها فى ظلمة الغيهب[٩٩]

غايـــة الـــسفر التى يحدّدها الشاعر هنا، هى البحث عن الرؤيا، عن المعنـــي لذلك كان سفره ذا هيئة (معنوية)، وهو مع ذلك يتلبس الطقوس المعروفة للارتحال.

ولأن الـــسفر معنوى بحثاً عن المعنوى، يرتحل الشاعر داخل كيانات هـــى فـــى ذاتهـــا أسرار وأبعاد كونية- فى الأبيات السابقة- يرتحل فى حـــروف الـــشعر، الـــنجوم، الكـــواكب، العيون، عروق الأرض، موج البحار...، يسافر فى كيانات لها سحر الغموض، وغموض السحر، وذلك ليوحـــي لنا أن سفره هذا خرافي أسطوري وليس واقعيا حرفيا وأنه رحلة عظـــيمة المكابـــدة محفوفة بالأسرار شأن رحلات القصص الأسطورى، وهى رحلة متوجهة صوب منتأى غير مطروق من البشر...، لذلك يصور ذاته جوابا فى أرض لم تطأها أقدام البشر، وهو لا يبحث فى المأهول، بل فـــى الغـــامض، لأن سفره دفين غامض ثمين ونفيس الغاية...، إن سفره بحـــث " عـــن خـــلاص الأمة وعن رؤيا تأتيه من الغيب، من الفكر، من التأمل من الإلهام، أو من التوشج بعروق الكون، والالتحام بصور الزمان، والبحث فيها عن مخلص من الواقع الردئ.

هكذا يلاحظ القارئ لشعر د. صالح أن مفردة " السفر" فى هذا الشعر محفوفة بالسحر والغموض، والسياقات الميثولوجية.

كثيـــرة هى المواضع الشعرية التى نعثر فيها على هذه الدلالات كما فى قصيدته " أعراس الجلال" التى يقول فيها مخاطباً وطنه:

سافرتُ فى عينيك أبحث عن رؤى والشعرُ سر لا ينال محجب[١٠٠]

ويقول فى " فلسفة" مخاطبا " البلاد" مبتهلاً، أن تمنحه ميلادا جديدا أن تمنحه حلم الطيران، وكينونة الطائر المسافر الجواب:

علميني كيف أمحو أرقي واصنعيني طائرا من ورق

سافرى بي رؤية غامضة لمدارات الهـوى والألق[١٠١]

ويـصف فى قصيدة " سؤال" ارتحاله فى عروق السؤال! وأمواجه وغموضـه إمعانـا فى الدلالات الخرافية للسؤال، والانسياح فى العقلي المعنوى لا المادى المباشر، يقول:

" كنت مسافرا فى لجة السؤال

أبحثُ عن مواجعي

أبحث عن مواقعي

فلم أجد إجابة " [١٠٢]

السفر هنا فى غياهب السؤال، فى الوجع، بحثاً عن الكينونة والمآل.

وفى " الأعمي وخيوط البارود" يصف الشاعر ارتحاله منبثقاً من رحم " الـتقوى" علـى بـراق من الرؤيا، ببوصلة سحرية، إلى حيث المحال، فالغاية هنا (محال)، والسفر ذاته فى اللاممكن، ذلك أن الردى أمل" دون هذه الغاية التى أشار إليها الشاعر بـ" المرفأ النوني".

وخارطة الطريق هنا لا تكاد تختلف عن خارطة الأسفار فى رحلات الـسندباد فـى الأسطورة المعروفة، أو رحلات أبطال الأساطير والتراث الشعبي عامة والأدبي بشكل أعم.

الـشاعر هـنا يمتطي خلقا مطهما خارجا من رحم معنوى هو رحم الـتقوى،.... أمـا كـوكب الأرض، ذلـك الكيان المادى فهو جزء من عناوينه- يستقل به الشاعر ويستصغر مداه فى رحلته العظيمة هذه- بما يزيد فى إسباغ صفة السحر على هذه الرحلة، وبما يوحي لنا بأن الرحلة رمـزية يتجه إليه بمجموع فكرة وعقله، وروحه، ولذلك فهو يتخطي بهذا

الكيان حدود المنطق: منطق الزمان والمكان والقدرة البشرية- المحدودة. يتجاوز منطق العلاقات بين الأشياء ومنطق الإمكانية، بل يتخطي الفواصل بين الإمكان والمحال، يتعدى كل هذا ليرتحل ارتحالا غير ممكن لكنه في ذات الوقت واقع وممكن في النفس والحدس والكشوف العقلية والتأمل.

وهذه السياقات الأسطورية التي يحيط بها الشاعر رحلته ليست إلا توسلا بقدرات فوق بشرية للوصول- أو محاولة الوصول- إلى المحال، إلى إمكانية الرؤيا وسط ظلام الواقع بما أحوج الشاعر إلى خرق المعقول، والتوسل بالأسطورة، يقول الشاعر:

خرجت من رحم التقوى على خلق ... مطعم وتركت المنتأى دوني

ما أبت من جهة إلا إلى جهة ... فكوكب الأرض شئ من عناوينى

على براق من الرؤيا، وبوصلة ... سحرية، وهوى بالبحث مسكون

لى غاية عندها يغدو الردى أملا ... ويصغر الحاجز النارى فى عيني

فتحت سفر المنايا واحترقت به ... شوقاً إلى عتبات المرفأ النوني[١٠٣]

السفر غاية الشعر في هذا الطرح، يبدو من أهميته وكأنه ماهية الشاعر، وماهية شخصياته الرمزية. وهو هدف الذوات الإنسانية، وهدف كل كينونة في قصائد د. صالح. بل إن الزمان ذاته يسافر في هذا الشعر، كما يقول في قصيدة " تلويحة".

للزمان المسافر عكس السفر

كل هذى القصائد لؤلؤة القلب، شلال هذا الشجى"[١٠٤]

التاريخ ذاته كيان يسافر فى " الحزن والبوابة"، يقول الشاعر:

" على فرس من النجوى

وتاريخ يسافرُ فى عروق الريح"

الكـيانات الرمـزية ذاتها كيانات مسافرة- وفق رؤية الشاعر- مثل العـصفور- الذى نراه رمزا للحرية فى هذا الشعر- بصفه د. صالح فى بحثه عن الحرية، والتحرر من القيود بقوله:

" وكان هناك عصفور يسافر فى شحوب الباب"(١٠٦)

وفـى أعلى درجات الصدق العاطفي، والانصهار مع الحبيبة، يسأل الـشاعر حبيبـته أن تـسافر فى دمه، بما يدل على أن السفر فى وعيه الـشعرى قمة التوحد والانعتاق، والانتماء، والتماهي. يقول فى " نصف بيت":

فسافرى عصفورة فى دمى وعن غصون الوجد لا تسألى(١٠٧)

يبدو الانسجام الفني بين أجزاء التجربة الشعرية واضحا فى قصائد د. صـالح الزهرانـي، علـى المستوى الكلى لهذه القصائد، وعلى مستوى التفاصـيل أيـضاً، ففـيما يتعلق بارتكاز الشاعر على مبدأ السفر، وحلم الارتحـال فى طرحه الشعرى، نلاحظ انسجاما دلاليا وفنياً عاليا بين هذه الـرغبة فـى الارتحـال، وبين الملامح التى يصور من خلالها كائناته الرمـزية، خاصة ما يتعلق منها بالفروسية والسّفر، فالخيول والمطايا فى شـعر د. صالح تأتي – نتيجة الضعف العام للأمة- فى صورة الضعف والعجـز عـن الارتحال متماهية مع صورة الفارس- وسنعاين هذا فى التحلـيل الفني- بما يتسق مع رغبته الدائمة فى السفر (الأسطورى)، أو السحرى، وكأنه تعويض عن عجز نوقه وخيوله ومطاياه.

ولهذا نجد الشاعر يرتحل دائما عبر الشعر، ويعتلى قصائده وقوافيه، أى أن السفر يكون بالحروف وعلى الحروف ومن خلالها، وكأن الشاعر يعتبر حروفه مطايا لا تكل يقول فى قصيدة " قصيدة لم تكتب".

فالشعر عندى سفر دائم　　من ضيق دان إلى أرحب

عشرون عاماً حاملا أحرفى　　ما كلّ ظهرى ولا منكبي

ولا استطالت خطوتي دربها　　ولا انطوى فى موجه مركبي

والشعر راحلته التى لا تسافر إلى الجدب، يقول متابعاً:

مسافر فوق شراع الهوى　　جعلتُ أسفار الهوى مذهبي

ما حل شعرى واديا مجدبا　　لا يرتمي إلا على مُخصبِ

ونفـــائس الصيد فى هذه الرحلة هى القصيدة، القصيدة الرائية، حاملة الـــرؤى والحقيقة. يقول الشاعر وقد تلبس روح السندباد، وجعل السندباد شاعراً:

أعود وفى كفي أنشودة　　ندية كالوابل الصيب

بيضاء مثل الصبح عذرية　　مفطورة من خافق ملهب

قدمتها عقدا لمحبوبتي　　هدية من عاشق معجب

وكمـــا واجـــه الـــسندباد أهوالا وعجائب فى رحلته، يواجه الشاعر/ السندبادى هذه الأهوال، وهو يقدم عنته ومكابداته مهراً للحبيبة. يقول:

حدثتها عن رحلتي خلفها　　وعن عناء الفارس اليعربي

فتلبت أحداقها وأحنوت حروفها، ثقلت: لا تلعبي

فأرسلت لى نظرة حرة نظرة مظلوم إلى مذنب

من طيفها أدركت ما فاتنى قصيدة بالقرب لم تكتب[١٠٨]

إن السندباد فى هذه القصيدة رغم مكابداته لم يفلح فى الظفر بكنز الرحلة، وهو " القصيدة" التى تنتظرها الحبيبة، وهى الوطن والأمة- كما هى دائما فى شعره- بما يشير إلى أن الشاعر يعتبر تجربته الشعرية كلها رحلة إبداعية باحثة عن القصيدة الغائبة التى لم يكتبها " بعد" ، وهى القصيدة التى ينتظرها وطنه، قوة طرح، وحرية رأى وصفاء رؤى،... وكل هذا يشير إلى مدى اعتداده بالشعر،ومدى ثقته فى قدرة الشعر على تبصير الأمة، ومدى أهميته فى إشكالياتها الراهنة.

ملامح الرؤيا ومرتكزات الخلاص:

عَبْر الأسفار المتعددة التى يقوم بها الشاعر فى جبنات الفكر والروح، والحروف، وجنبات الحياة، ويتزين فيها بزى الرحالة الجوابة، والمرتحلين فى تاريخنا الإنساني، تتجلى للشاعر عدة رؤى لخلاص الأمة من أزمتها الراهنة، وهذه الرؤى تتميز بمرتكزاتها الخاصة المسنجمة مع عموم الرؤية الشعرية فى قصائد د. صالح. ويمثل الخلاص الديني " رأس هذه المرتكزات:

الخلاص الديني:

هو معبرُ الأمة إلى القوة واستعادة ماضيها، وهو سبيلها- فى هذه الرؤية الشعرية- إلى إعادة البنيان وجمع تفاصيله المهشمة، هو العودة إلى الهوية، ومن ثم فهو فى الطرح الشعرى للدكتور صالح أول بوابة

للخـــلاص، هذا المرتكز الهام هو الرؤيا التى تحظى بها شخوص الشاعر عبر قصائده. يقول فى " نهاية رجل مجنون":

تزهو المعارف ما شبت على هدف سام، وما شربت من سلسل الدين[١٠٩]

وفى " رحيل الأقحوان" وحين يبكي الشاعر رحيل العالم الجليل" ابن بـــاز" يـــتأكد لديه اليقين بأن خلاص الأمة وانعتاقها فى صفاء القصيدة، يقول:

كل شئ يغدو لدينا جميلا حين يهدى سبيلنا الرحمن[١١٠]

الانعـــتاق بالعقـــيدة سبيل الخلاص، وهو السمة التى تميز الأمة عن كائديها وخصومها، وهو أحد ملامح " الخصوصية" كما يقول الشاعر:

لهم فى الهوى مبدأ راسخ ونحن لنا فى الهوى مبدأ

هم يلجأون إلى كيدهم ونحن إلى ربنا نلجأ [١١١]

يـــصف الـــشاعر عَبْـــر رؤاه تفاصيل هذا المرتكز، ويطرح خطوط الانطلاق إليه؛ وعلى رأسها أن يكون الانعتاق هاشمي التوجه منطلقا من درب الرسول- صلى الله عليه وسلم- صافياً، كما كان فى منبعه الأول.

يطـــرح الـــشاعر هذه الرؤية فى كثير من مواضع شعره، ولكن من أبرز هذه المواضع قصيدته" جغرافيا الرقاب" حيث يسوق هذه الرؤية على لـــسان المكتـــشف الجغرافـــي" فاســـكو دى جاما" مكتشف رأس الرجاء الصالح- ويجعله متغنياً بها، عَبْر تغنيه بهاشميات الكميت، فى طرح فني متميـــز يوظف فيه الشاعر رموزه التاريخية، وترميزه اللغوى لطرح هذه الرؤية، يقول:

" قالها البحرُ، ودى جاما يغني هاشميات الكميت"[١١٢]

وبذا غدت "هاشميات الكميت" هى اكتشاف " دى جاما" أى أنها معادل اكتشافه الجغرافي الحقيقي" طريق رأس الرجاء الصالح" وبدت -- من ثم- هاشـــميات الكمـــيت معادلا فينا لرأس الرجاء، وبذلك يتخذ رأس الرجاء بدلالته الرمزية هنا معني ودلالة تتعلق بالرؤيا، هى دلالة لغوية مباشرة: الأمل والهداية والسبيل الراشد، وتصبح هاشميات الكميت على لسان" دى جاما" تبشيرا بالرؤيا، والخلاص الديني.

وفـــى قـــصيدة " الـــباب الأيمن" وبعد أن يقص الشاعر تفاصيل آلام مريـــرة مـــضت بالأمـــة، يصف انهيار الباب، وعناء التوق إلى الحرية والوجود والكينونة، يقول:

" وكان هناك عصفور يسافر فى شحوب الباب

يقرأ حرقة فى القلب مطوية

تبقي ويبقي الحب مازمجرت

ريح، فياريح الشجي دندني"

ويصور الارتكاز على العقيدة السبيل الوحيد لمواجهة كتلة التحديات السافرة، والتى تهدد كياننا بالتلاشي والضياع، يقول:

طريقنا بوابة للتقي

نهراً من الإلهام لم يأسن

حديقة للشعر، منحي رؤى

منارة للزهو فى موطن

يعود جيش المعتدى مذعناً

وأنت للأواء لم تذعن

مرابطاً فوق خطوط الهوى

تحكي ثبات العاشق المؤمن

حزني على باب الندى خالد

على ممر الجدب لم أحزن [١١٣]

الارتكاز على العقيدة والخلاص من خلالها هى رؤيا الشاعر منذ أول دواوينه " ترانيل حارس" لكلأ المباح" حيث يقول:

كيف لا أتقفي خطا رسمتها رجلُ طه وفيلق الأنصار

مكة فى دمي، وطيبة قلبي فالحقوا بى أو فاغرقوا فى غبارى

استعادة القوة والفاعلية خلاصا:

من مرتكزات الخلاص في الرؤية الشعرية للدكتور صالح الزهراني استعادة كيان الأمة، من خلال استعادة القوة والفروسية والفاعلية الماضوية، وهو طريق لا ينفصل، ولا يتعارض مع المرتكز الديني للخلاص، بل ينسجم معه ويكمله، حيث يدعو ديننا الحنيف إلي التمسك بالقوة والكرامة والعزة في غير اعتداء وبطش وتجبر.

تتصف القصائد الشعرية التي يصور فيها د. صالح هذا الطريق للخلاص، بتماهيها الفني مع دلالتها، إذ تبدو القصيدة في حد ذاتها- وهي حروف وأصوات جيوشاً وفيالق وخيولا، ولذلك هو يصفها بذات الوصف كما يقول في "لوغاريتمات عربية"، فيؤكد أن قوة الشعر تنطلق من قوة الأمة، يقول:

تأتي القصائد خيالاً وصافنة ونخلة في ذراها ينعش الرطب

إذا تفجر من ظلمائنا قمر ومن مطارات نوم أقلع العرب[١١٥]

تمتلـــئ القصائد المبشرة بالقوة- في شعر د. صالح- بروح الجهاد، وأسماء الأبطال الفاتحين، وتفاصيل الفروسية.

يقول في "رحيل الأقحوان":

لغة الفاتحين قدح وضبح وحسام وفارس وحصان[١١٦]

ولـــذلك يستدعي الشاعر من تاريخنا كل رموز الفروسية يستنفر بهم عروق المجد، والحنين إليه، يقول في "وجوه وحقائب بدوية":

عاشق أحمل في هذا الزمان

رعشة الحروف الجميلة

وبروق العنفوان

راحل سربا من الضوء، من الصحراء للماء، ومن بوابة المجد إلي ملحمة الوجد

من عبق (الأرض) لنفح (الزعفران)

من قناديل (نبوت) السيف في نجد لزهو القيروان

شاعر يا سيد الحجر يغني

فاحك عني

إنني أعتصر الجرح الذي يقتات مني

نشوة تكلي، عروشا من تمني

موغل "أبحث عن ميراث (عنترة)

عندما أنكره من باع حبه

وغدا أحفاده للناس لعبة[١١٧]

وفـــي قـــصيدته "مـــواكب الجلال" يرثي الشاعر والدته، ويبث إليها مواجعه وأحزانه، وقلقله علي أمته، يناجيها كما ناجي "ابن باز" في رحيل الأقحـــوان، مستعيـــضا بأحبته الموتى عن الأحياء الذين أوجعوه اغترابا، وواصـــفا مـــن خـــلال نجواه إلي المائتين مدى حاجته إلي صدق الرؤية وصفائها حيث شفت أرواح الموتى وتخلصت من عبء الجسد وضجيجه. وهـــو في نجواه للأم المائتة، ووصفه لأحزانه يصف سبيل القوة والمجد مرتكزا للخلاص، يقول:

وإن لم نحي دنيانا بعز فيا أمي علي الدنيا السلام[١١٨]

معوقـــات الرؤيـــا:

يتردد علي مدار التجربة الشعرية كثير من المواضع التي يصف فيها الـــشاعر مكابداتـــه مـــن كثيـــر مـــن القوى التي تواجه رؤاه بالتعطيل، والسخرية، والمقاومة.

ويقف المجتمع علي رأس معوقات الرؤيا، والرؤية، بانطفاء حماسه، ولا مبالاته، باستغراقه في الآني من العيش، ومحدودية اهتمامه، واستلاب كينونـــته، وشعوره بالأزمة، يقول الشاعر في مقولة التي تبدو من أقوى قصائده تصويرا للصراع بين الرؤى الشعرية ومكابداتها.

"كلما قلت: مات القمر

صوح للنخل، شاخت عراجينه المثقلات

دار بنا الحزن دورته المفرحة

كلما قلت: مال الشجر

أشرع البحر كفيه مستنجداً

طأطأ الصقر، نامت علي ظهره الأجنحة

كلما قلت: يا نائمين الحذر

إنني ألمح الدوح يمشي
علي ألف نعش
وألمح دمدمة الأضرحة
كلما قلت: مدوا النظر
وأعدوا لهم ما استطعتم من الأسلحة
حوقلوا، ادخلوا في الجيوب الأكف
أخرج كل له مسبحة"[١١٩]

هكذا تعبر مفردة "كلما" في القصيدة السابقة عن العلاقة الطردية الأبدية بين مجاهدات الشاعر في الوصول إلي الرؤيا، وبين مجاهدات المجتمع لإطفاء هذه الرؤيا وإعاقتها، لذلك عنون الشاعر قصيدته بـ "مقولة" حيث ساهم المجتمع الغافل في تجميد فاعلية الشعر، وفاعلية الرؤي الصادقة لتكون محض حروف، وأقوال لا ترقي إلي حد الترجمة إلي فعل بارز ناقع.

يتلبس الشاعر في قصيدته السابقة روح "زرقاء اليمامة" الرائية المحذرة لقومها من الخطر، وهو يحذر أمته من الظلام الماثل في موت القمر، والجدب الماثل في موت النخيل والمأساة والفجيعة الكامنة في دورة الحزن التي لا تنتهي إلا لتبدأ يحذرهم من العجز المتجسد في انحناء الشجر، واستغاثة البحر وذل الصقور، والتحول الكامل لخريطة وجودهم علي الأرض، إذ يري الموت- لا قادما- بل قائما حيث يسمع دمدمات الأضرحة، وهياكل النعوش... وهو في ذلك هذا لا يطلب من مجتمعة إلا (البصيرة) التي عبر عنها في قوله "مد النظر"، ولكن المجتمع، وهذه هي صورته في شعر د. صالح في هذه السياقات- مجتمع سلبي يكتفي بمظاهر التدين: الحوقلة والمسبحة، ويبتعد عن جوهر العقيدة التي ترفض الذل والاستكانة والسلبية.

هذه الصورة هي ذاتها صورة المجتمع في "أحزان معتقة" حيث يقول الشاعر:

حملت لأهلي الكلمات زهواً وأهلي مذ ولدت لهم نيام[١٢٠]

يصور الشاعر في قصيدته "السفينة" منغصات الشاعر الرائي ومعاناته من تكذيب المجتمع وتجاهله، وسخريته، وضغوطه التي تحاول إجباره علي تغيير المسار، والرؤي...، ويستحضر وسط هذه المكابدات، والصراع غير المتكافئ صوت الأمة وصوت الذات والضمير الإبداعي، وهو يبشر الشاعر بانـدثار المظلمين، ويقوي عزيمته، ويطلب منه الاصطبار في مواجهتهم، فهم الباطل الزائل، وهو اليقين الراسخ، يقول:

"يراد منك أن تكون لا تكن
كن ما تحب أن تكونه
فأنت سيد الحروف، حارس الرؤى
والمظلمون والدجي
طواهم السري
أغمد في أحشائهم سكينه
فتش عن قلوبهم، فلم يجد إلا قري خاوية
مدامعاً سجينه
يراد منك أن تكون.. لا تكن
تيارهم لو كان صاخبا سينطوي
مطأطئا جبينه
سيقبلون يجمحون... لا تكن
سيحشرون في ضلالهم ضحى
والوقت يوم الزينة"

يسوق الشاعر علي لسان هذا الصوت الممثل للضمير والأمة- مقارنة واعية دقيقة بين الشاعر والحامل لرسالة الوعي، وبين المتسربلين بالظلام الذين يبيعون تاريخهم، يقول:

"يراد منك أن تكون.. لا تكن

هذا الزمان موبق

بحفنة يبيع فيه المرء عرضه ودينه

يراد منك أن تكون.. لا تكن

فمن حروفك البيضاء

يخرج الصباح

تبحر السفينة..." (١٢١)

تسفر هذه المكابدات التي يعانيها الشاعر من تجاهل المجتمع وغفلته عن اصطباغ رؤاه الشعرية في كثير من مواضع تجربته بالكآبة والشجن، والحزن، واليأس أيضاً في كثير من المواضع، وفي مواضع أخرى تصطبغ لغته الشعرية بالثورة والتمرد والغضب من هذه المكابدات.

يقول في "الأغمي وخيوط البارود" واصفاً تحول وجهه وكيانه، وانسلاخ آخر جديد من القديم:

نضي وجهي وجهه وارتحلت فوق أبعاد الزوايا مقلي

فأبت رجلاي إلا خطوة شطبت وجهي ودكت معقلي

يتولد الحزن هنا من انسلاخ الوعي الجديد وولادته التي تمت مع ولادة الوجه الجديد للشاعر، لذا يتوجه لأمته، وبلاده التي يشير إليها بـ يا سيدتي قائلا:

أنا يا سيدتي مسترسل في بطاح الحزن لا تسترسلي

سحنتي معركة ضارية دمعة تجري بحد الطلل

مبحر فوق خيول من دم في لظي من حرقه مشتعل[١٢٢]

الحـــزن الـــذي يصاحب رؤي الشاعر في طرحه الشعري متولد من غمـــوض المـــصير، مـــن محاصرة الشاعر بأسئلة بلا إجابة، وانحصار الوعي في واقع غير مشبع، وغير مرض له، يقول في "سؤال":

"فما الذي أغرق ضوء الفجر

أغري الشوق بالشجن

وأسكت الربابة

لأي شيء يا معذبي

زيتونة الكلام صوحت

وطأطأت

وذلت المهابة

لأي لوعة

تعاقر الأشياء حتفها

وتعلن الكآبة... "[١٢٣]

الهوامش والإحالات

١- أطلقت تعبير "الحل الجمالي" في مؤلفي "القصيدة العربية المعاصرة" لأصف الدور الذي يقوم به الشعر في الحياة الإنسانية من حيث هو تحريض علي الجمال، والخير، واستفزاز للفعل النبيل، فهو يثير الأفعال، ولكنه لا يقوم بفعل مادي ملموس شأن العلوم التطبيقية- الهندسة، الزراعة- الطب- هو تحريض علي الفعل، ولكنه لا يقل في الأهمية عن كثير من الأفعال، لأنه يثير النزوع إليها.

٢- عرضت في "القصيدة العربية المعاصرة" أبرز العوامل التي أثرت في اندفاع الشعراء العرب المعاصرين إلي الاتجاه الواقعي في الشعر، وعلي رأسها أبرز الأحداث التي مرت بالأمة العربية منذ نكبة ١٩٤٨م.

٣- انظر: "القصيدة العربية المعاصرة". ص ١٢١.

٤- الموسوعة العربية العالمية. المجلد رقم ١٧. ص ٣٤٢.

٥- الموسوعة العربية العالمية. المجلد رقم ١٧. ص ٣٤٢.

٦- انظر: العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف. الطبعة ١٨. ص ٥٨.

٧- العصر الجاهلي. الطبعة ١٨. ص ٣٣٦.

٨- سورة الأنفال "الآية رقم ٦٠".

٩- العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف. ص ٣٦٦.

الهوامش والإحالات

١٠- الموسوعة العربية العالمية. المجلد رقم ١٧. ص ٣٩٤.

١١- الحيوان. الجاحظ. المجلد الأول. جـ١، ٢. ص ٢٨٩.

١٢- أمل دنقل. المجموعة الشعرية الكاملة. ص ٣٩٩.

١٣- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٦٧.

١٤- الديوان السابق. ص ٣٧.

١٥- الديوان السابق. ص ٤٥.

١٦- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم" ص ٥٦

١٧- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ١٢١

١٨- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ١٠٩

١٩- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٣٤

٢٠- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٤٦

٢١- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٤٦، ٤٧

٢٢- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٨٥

٢٣- الديوان السابق، ص ١١

٢٤- الديوان السابق. ص ١١.

الهوامش والإحالات

٢٥- الديوان السابق. ص ٤٣٠.

٢٦- ديوان "فصول من سيرة الرماد" ص ٧٣.

٢٧- الديوان السابق. ص ٦٥، ٧٦.

٢٨- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٣٠.

٢٩- الديوان السابق. ص ٥٧.

٣٠- الديوان السابق. ص ١٢.

٣١- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".

٣٢- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٩.

٣٣- الديوان السابق. ص ٨٦، ٨٧.

٣٤- الديوان السابق ص ٧٠.

٣٥- الديوان السابق. ص ٩.

٣٦- الديوان السابق. ص ٦٥.

٣٧- ديوان "فصول من سيرة الرماد" ص ٩.

٣٨- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".

٣٩- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٥٠

الهوامش والإحالات

٤٠- الديوان السابق. ص ٤١.

٤١- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٦١.

٤٢- الديوان السابق. ص ٣٥

٤٣- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٤٦.

٤٤- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".

٤٥- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٨٥.

٤٦- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٥٨، ٥٩.

٤٧- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٨٠، ٨١.

٤٨- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".

٤٩- الديوان السابق.

٥٠- الديوان السابق.

٥١- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ١١.

٥٢- الديوان السابق. ص ٦.

٥٣- الديوان السابق. ص ٢١.

٥٤- الديوان السابق. ص ٢٢.

الهوامش والإحالات

٥٥- الديوان السابق. ص ٢٥.

٥٦- الديوان السابق. ص. ٢٦.

٥٧- الديوان السابق. ص ٣٠.

٥٨- الديوان السابق. ص ٣٢.

٥٩- الديوان السابق. ص ٣٣.

٦٠- الديوان السابق. ص ٣٣.

٦١- الديوان السابق. ص ٣٩.

٦٢- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٥٤، ٥٥.

٦٣- الديوان السابق. ص ٥٨- ٥٩.

٦٤- الديوان السابق. ص ٦٩.

٦٥- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص٦٩.

٦٦- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٦.

٦٧- الديوان السابق. ص ٣٤.

٦٨- الديوان السابق. ص ٥٧.

٦٩- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٣١.

الهوامش والإحالات

٧٠- الديوان السابق. ص ٥٣.

٧١- الديوان السابق. ص ٣١.

٧٢- الديوان السابق. ص ٣١.

٧٣- الديوان السابق. ص ٦٩.

٧٤- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٥.

٧٥- الديوان السابق. ص ٢٢.

٧٦- الديوان السابق. ص ٢٧.

٧٧- الديوان السابق. ص ٣٨.

٧٨- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٢٩.

٧٩- الديوان السابق. ص ٣٠.

٨٠- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٣.

٨١- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ١١.

٨٢- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٨.

٨٣- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٥٧.

٨٤- الديوان السابق. ص ٢٢.

الهوامش والإحالات

٨٥- الديوان السابق. ص ٢٦.

٨٦- الديوان السابق. ص ٢١.

٨٧- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٤٨.

٨٨- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٢٢.

٨٩- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٤٩.

٩٠- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٤٣.

٩١- الديوان السابق. ص ٤٦.

٩٢- الديوان السابق. ص ٤٩.

٩٣- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٥.

٩٤- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٧٢.

٩٥- الديوان السابق. ص ٦١.

٩٦- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٢٠.

٩٧- الديوان السابق. ص ٢٣.

٩٨- الديوان السابق. ص ٤٤.

٩٩- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٧١.

الهوامش والإحالات

١٠- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".

١٠١- الديوان السابق.

١٠٢- الديوان السابق.

١٠٣- الديوان السابق.

١٠٤- الديوان السابق.

١٠٥- الديوان السابق.

١٠٦- الديوان السابق.

١٠٧- الديوان السابق.

١٠٨- الديوان السابق.

١٠٩- الديوان السابق.

١١٠- الديوان السابق.

١١١- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٣٠.

١١٢- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".

١١٣- الديوان السابق.

١١٤- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٧٦.

الهوامش والإحالات

١١٥- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".

١١٦- الديوان السابق.

١١٧- الديوان السابق.

١١٨- الديوان السابق.

١١٩- الديوان السابق.

١٢٠- الديوان السابق.

١٢١- الديوان السابق.

١٢٢- الديوان السابق.

١٢٣- الديوان السابق.

الفصل الثاني

الفارس المغيب: ملامحه، وضعيته الماضوية، رثاؤه!

الفروسية في الرؤية الشعرية للدكتور صالح الزهراني مزيج من المادي والمعنوي، والفارس كيان معقد يتمتع بالقوة في دلالتها المادية الجسدية، ودلالتها الروحية والأخلاقية، فهو حامل لسيفه دائما- في قصائد هذه التجربة الشعرية- قائم علي فرسه، متأهب بسيفه، وهو في ذات الوقت صاحب رؤية للوجود الإنساني، ومن ثم- فهو صاحب رؤية لإشكاليات واقعنا العربي والإسلامي.

هذا الفارس يمتاك تفسيرا لتحولنا من الماضي الزاهي إلي الماضي المتأزم، لديه تفسير لأسباب التمزق والشتات، ولديه قائمة بالإدانة للأطراف التي دفعت الأمة إلي حاضرها القائم، وهو أيضاً صاحب رؤي للخلاص والنجاة من هذه الأزمة.

الفارس في شعر د. صالح ذو ملامح عربية محضة، في سمته وملامحه المادية والفكرية والمعنوية، وفي مذاقات مشاعره أيضاً. هو فارس متخم بالمروءة والنبل والنخوة، والقدرة الخيرة، للقدرة الموجهة إلي خصال الخير: إغاثة الملهوف، والذود عن الحياض، عن الأنفس، وعن الشجر وعن السحب والماء والثمر، يمتلك حسا مرهفا مرهفا فهو في حالة شجي وحزن علي المائت والحي، المائت لغيابه، والحي لانكساره.

هذا الفارس منتم إلي المكان وإلي الإنسان في أمته، منغرس في تفاصيل الأشياء، مشيمي للعلاقة مع الواقع والأرض، ودود، فدائي، إيثاري، صموت، معتزل، متعفف شديد قوة الغضب، يكابد ثورة حارقة، ورؤية نارية للخلاص، يؤثر الفعل علي الكلام والوعود.

هذا الفارس يأتي في قصائد د. صالح بضمير المفرد، لكنه مستنسخ من سلالة فرسان عربية، يشتمل في فكره ووجدانه وخلقه علي ملامح ابن قتيبة، والقعقاع، وسعد بن معاذ وعمر بن الخطاب، والمثني، وخالد بن الوليد، وقتيبة بن مسلم، وغير هؤلاء من أبطال التاريخ العربي الإسلامي.

الفارس في شعر د. صالح الزهراني هو حارس الأمة، وهو يطالعنا بهذه الهوية في ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح" وهو فارس حارس حزين اجتهد في حماية كنزه، ولكن الواقع أعجزه، وتكالبت عليه عوامل الاستباحة، فالعون مفتقد، والجمع مستهتر بحراسته، ورؤاه، لذا لم يستطع- رغم مرارته ونبله وجهوده- إلا أن يقدم تراتيله في صمت شجي.

الفارس في هذه الرؤية الشعرية الفريدة هو الشاعر أيضا وهو لا يبدو في هذه القصائد إلا شاعرا، فالشاعرية جزء من فروسيته، وترتيل القصائد ووعي الشعر جزء من حراسته وأدوات قتاله.

وهو الساهر علي الأمة بقصائده الملأي بالتنوير والتحريض علي الكرامة، والإنهاض للحياة، والإدانة، والوعي.

الفارس في هذا الطرح الشعري فارس حارس شاعر راء لذلك فهو صورة فريدة مثالية للفروسية يقدمها لنا شعر د. صالح.

يتصف الفارس بالقوة في شعر د. صالح الزهراني في مرحلة ماضي الأمة إذ يكون في حالته المثالية قوة وفروسية وشاعرية وزهوا، يصفه الشاعر في هذه المرحلة بأنه مسار النور والرؤية والقوة والكرامة، والشاعرية، وهو في هذه الحالة منسجم مع تفاصيل الزمان والمكان، يقول في "شاهد العصر":

كان مساراً للصبح

فناراً للقادم من مدن الريح

غماماً للظمأ النازح فوق خيام الشفة/ المفضي

كان رؤيا في كل معني جديدة

خصبة، حرة العروة ولودة

راحلا في البياض، يحمل قلبا

عربيا، معلقا بقصيدة"

يتبنـــي الفـــارس في رؤية د. صالح الشعرية ذات الرؤية التي ساقها للخـــلاص، فيرتكز علي الانعتاق الديني، فيكون التقي وصبوة المجد جزءً من ملامحه، يقول:

"استباق الخطى، وفتح المآقي

والبشارات في رؤاه عتيدة

كان شيئا من التقي والتصابي

في زمان الفناء.. روحاً فريدة" (١)

الفـــارس في هذه الأسطر الشعرية السابقة كتلة من النور. تتبدي في كثيـــر مـــن الكـــيانات فـــي القصيدة، وهي: المسار، والفنار والبياض، والـــصبح.. هو كتلة من البشارة والتفاؤل والخير تتبدي في الغمام والتقي والتصابي، والمآقي المفتوحة.

وملامح هذا الفارس عربية محضة، هذا السمت العربي هوية الفارس والخـــيول، والقصيدة، وشاهد العصر، والشاعر، بل هي سمت الأماكن، والرؤي في شعر د. صالح.

وتاريخ الفارس في هذا الطرح هو تاريخ الأمة، وماضيه هو ماضيها يتواكبان ازدهارا وأفولاً.

يـــصف الشاعر فارسه في "حاشية علي الجرح" بأنه فروسية متوائمة وكيان نوراني يجمع بين الفصاحة وغموض القوة ومهابتها. يقول الشاعر:

وفارس رجلاه في خفقها ... روائع الأنغام تستلمح

ما اهتز حبل السرج من تحته ... ولا عرفنا مهره يجمح

فتوحه لغز وصولاته ... حصن من الأسرار لا يفتح

محجل مثل صباح الهوى ... مغرر مستوفز مفصح[٢]

ولأن تاريخ الفارس هو تاريخ الأمة نراه قوة معطلة مأزومة، منهزمة مـــنذ نكـــبة فلسطين، يصفه الشاعر في "مرثية للفارس المستقيل" واصفاً مجده الماضي.

كنت تغلي تطلعاً وطموحاً ... وجنوناً، فكيف تبدو صحيحاً

من شفار السيوف أينعت حتفا ... من قلاع الجنون أقبلت ريحا

وحملناك في القلوب نشيدا ... عربيا، عذب المعاني فصيحا

ونسجنا في مقلتيك القوافي ... فاستحال الرثاء منها مديحا

فارسا ملهماً، يذود المنايا ... قلقاً، مسرج الفؤاد جموحا

نصف قرن وأنت لحن جميل ... ما طوي في السياق لفظا قبيحا

نصف قرن ويحى نبني قلاعاً ... من تصابيك، أو نقيم الصروحا

ما استرحنا لأن عينيك تأبي ... يا سفر الخطوب أن نستريحا

ما استرحنا والكدح يبدو جميلا ... حين يأبي الغرام ألا يريحا[٣]

ثـم يـسرد تـاريخ الحاضر، ويصفه، وهو حاضر دام يشمل الأمة والفارس معا، .. وقد عرضنا له عند استعراض دلالات الرماد في طرح الشاعر.

إن بـوتقة الرماد تضم الفارس والأمة وخائني الأمة معا، الجميع في احتراق واحد، لكن الشاعر المنشد، المرتل لحلمه وحده يبقي، ويظل جمرة كامنة في الرماد.

مـن أقوى أسباب قوة الفارس في رؤية د. صالح الزهراني انضواؤه علي نور العقيدة، واهتداؤه بهديها، ... هنا قوته، وفتوته في هذا الطرح، يقول الشاعر:

وقلوب فرسان الضياء نقية تطوى علي هدى الكتاب وتنشر

تتنكب العقبات، وهي مخيفة عند المبادئ، كل هول يصغر[٤]

والشاعرية من أبرز ملامح الفارس في رؤية د. صالح الشعرية، لذا يـصوره لنا في "البحث عن مضارب الوطن" وهو يسوق جواده وقافيته، يقول:

أغذ أجرد طواحا، وقافية كأنني في الهوى "سيف بن ذي يزن[١٨]

وفـي "قـصيدة لـم تكتب" تلتحم مشاعر الفارس والشاعر والسندباد الجـواب معا، إذ يصور الشاعر ذاته سندباداً باحثا عن القصيدة الرائية، ويقـص عليه الحبيبة عند عودته حكاياته وعناء الفارس العربي في سبيل عثوره علي ما تريد من كنوز.

ويتماهـي الشاعر والفارس في هذه التجربة الشعرية الفريدة، فيعاني الـناقد والمتلقـي امتـزاجاً بين سياقات الكيانين، فحروف الشاعر جواد الفـارس، وخيول الفارس حروف الشاعر، والشاعر يمتطى جواد الفارس

غيـــر مقتنع بقصيده، وغير مكتف بها في توجهه لتغيير المجتمع، كما أن الفـــارس يتوسل بنشوة حروف الشعر، وقوة تأثيره لتغيير الواقع، وهكذا يـــتداخل الكـــيانات ويتماهيان، يقول الشاعر في قصيدة "أحزان شعب الله المختار" بعد أن يسرد أجزاء من تاريخ آلام فلسطين:

"فخذني قنديلا، منديلا، أمسح بعض العبق الطاهر

علي استنشق من خيل الله الكبر، واغتسل عند عيني

كثبان غبار

سيروا بي في هذا الملكوت

قصيدة شعر لا تؤمن بالوزن

ولا تُعجن بالجبن

ولا تعرف معني الأسوار"[٦]

وفـــي قـــصيدة "الـــسفينة" يقدم الشاعر هذا التماهي بين كيانه وكيان الفـــارس "قربانا" للجموع، فيطرح حروفه فوق خيول الموج مرتحلاً نحو غد يرجوه لمجتمعه، يقول في "السفينة":

"صنعت من دمي

ومن أحرفي

من حرقة الموال في فمي

سفينة"

جعلت أضلاعي لها دعامة

وقامتي سارية

وخافقي بوصلة تقودها فوق خيول الموج في سكينه"[٧]

وفـــي قصيدة "رسالة" من ديوانه "ورقة من سفر الرؤيا"، يعرض هذا التماهي، قائلا:

فسافرت في شراييني خيول هوى أزدية القبح ما كلت من السبق

تتاجز الريح، موال سناكبها مقطورة مثل هذا الوجه من قلق[٨]

والتماهـــي بين الشاعر والفارس ليس في الملامح، والرؤى، وتبادل القـــوى فقط، بل في مكابدة منغصات المجتمع المعطل لرسالة كل منهما، لذلك يشكو الشاعر تجاهل حروفه، ويشكو الفارس تعطيل خيوله.

يعـــرض الـــشاعر هـــذا المذاق من التماهي في قصيدة "نهاية رجل مجنون"، فيعرض السيرة الدامية المؤلمة للشاعر، ويصف بطولته ونداءه الماضـــين كذكريات تدميه حين يري الحاضر، الأسي، يتذكر كيف كانت الأرض خاضـــعة لـــسنابك خـــيله، وكانـــت القوافي متدفقة، حتى امتلكه الإحساس بالزهو والنصر وامتلاك الوجود، يقول في تصوير شجي يهيمن عليه مناخ الرثاء- رثاء الذات.

كان الندى من بخور الوجد في جسدي وكان من نفسي عطر البساتين

وكان فيض القوافي من جموح فمي والخيل في رقعة الغر الميامين

وكانت الأرض أعراسا ودمدمة وطفلة من شذ فل ونسرين

فأوقد الكبر في عيني جذوته وأشعلت قبس الثكلي شراييني

ورحت في فلك النجوى يسابقني خطوى، ووسوسة الأمجاد تغريني

وينتشي في فؤادي ألف موبقة يسن حكمتها فقه الملايين

يضيع في موجها قرعون، يذهل عن صغار مستثمريها مال قارون[٩]

يتماهي الشاعر والفارس في مصير واحد، وهو مأساوي، إذ يبدو كل كيان منهما محاطا. بحتمية الألم والضعف في هذه التجربة الشعرية، وعندما تتاح لأحدهما اختيارات فيما يخص مصيره، تبدو كل الاختيارات انشطارات وتمزقاً، ولذلك يكون الارتحال والتغرب ضرورة، وقراراً اضطراريا، ومنطقياً مدفوعاً بهذا التواجد المأساوي.

ويبدو سفر الفارس، والشاعر بحثاً عن الحلم، وأبعاداً وإزاحة من الواقع، كما يبدو في بعض سياقات التجربة الشعرية للدكتور صالح هرباً من سلبية المجتمع وجموده.

لذلك يمنح الشاعر د. صالح "المكان" صفة البطولة في قصائده في أي هيئة كان هذا المكان: أقطاراً عربية، مدن المملكة، مواضع الأسفار الأسطورية الغامضة المستقاة من الخرافة أو الأسطورة، مواضع الحلم...، وذلك لأن الارتحال أصبح غاية الشخصية الأساسي في شعره، وهو شخصية الفارس في بحثه عن الانتماء، التحقق، الوطن، الخير، الجمال، الوجود النبيل.

والفارس يسافر بهويته في هذا الطرح، يسافر شاعراً وفارساً، وهو يسافر في- الغالب- علي غير هدى، دون خريطة، كما في قصيدة "مسافر بلا بوصلة" التي يشير عنوانها إلي هذه الدلالة، والتي يقول فيها الشاعر مؤكدا غموض السفر، وغموض مصير الفارس:

مسافر فوق جمر الحرف يحترق مسافر زاده الألحان والحرق[١٠]

لـــم يكـــتف الشاعر د. صالح بطرح الارتحال حلما لا يتحقق إلا في هيئة معنوية- سفر في الحروف والمعاني والزمان- بل صور هذا الحلم ذاته محالا لأنه جعله دائماً محفوفاً بالمخاطر والمناخات التراجيدية.

فـــي أحـــد مواضعه الشعرية المتميزة في عرض هذه الدلالة، ونعني قصيدة "البكاء دما" يصف الشاعر سفره محدوا بتجاهل الجموع والأحبة، منكراً من الزمان والأنسان، يقول:

مسافر فوق موج الحرف في ورق أودعته فيض أحزاني وعطر دمي

مسافر لا زماني مدرك سفري ولا رفيقة دربي هزها نغمي[١١]

ثـــم يـــتوحد مع ذاته في مونولوج (كشفي) يعلن من خلاله عقم مبدأ السفر، ومأساويته، يقول:

يا من رحلت: إلي أين الرحيل ضحي خيول شعرك أدمي صدرها السبق[١٢]

لأي دار تذود الناجيات، ومن سيقصد الركب والأمواج تصطفق

هون عليك، فإن الدرب مهلكة والليل خلفك والقناص منطلق

ومن همست له بالسر باح به وباع عينيك، من تهواه مرتزق

مكابـــدات الفارس هي ذاتها مكابدات الشاعر في هذه الأبيات، وهي: مجهولـــية جهـــة الرحيل، إدماء الخيول (وهي هنا خيول شعر) اصطفاق الأمـــواج، الدرب للمهلكة، انعدام النصير، وخيانة المؤتمن، هيمنة الليل، تربص القناص،...

هذه الأخطار أو "المسدات" هي ذاتها الضلال الذي يشكو الشاعر منه في مسيره، هي البوصلة المفقودة، والمصير التراجيدي للفارس. والشاعر معاً.

السفر والارتحال اختيار واضطرار في هذه التجربة الشعرية، وهو- في كل حال- ملمح هام من ملامح المصير التراجيدي للفارس والشاعر، أو الفارس الشاعر، ولذلك يتصدر الارتحال كثيراً من قصائد د. صالح الزهراني.

الارتحال قدر الشخصيات الرمزية المستقاة من التاريخ العربي والإسلامي، أو الأدبي في قصائد د. صالح، من هذه الشخصيات "السندباد" الذي نراه في كثير من مواضع هذا الشعر وندرك الآن من تفهم مدى أهمية مبدأ الشعر في رؤية د. صالح سبب هذه الوضعية الهامة للسندباد في شعره.

يفرد الشاعر لهذه الشخصية قصيدة هامة هي "السندباد في رحلته التاسعة، وسوف نعرض لها عند تحليل مواضع التناص في هذا الشعر- وهي ذات قيمة دلالية في تعيين مواضع الارتحال التي يتخيرها الشاعر، ويكسبها دلالات رمزية هامة.

يتماهي الشاعر بشخصية "السندباد" في هذه القصيدة، ويرتحل من خلاله إلي مواضع مجهولة غير مأهولة من الكون، يستمد من غموضها وسحرها وأسطوريتها قوته، لاجئاً إليها بعد فراغ يده من الواقع والحقيقة..

يرتحل الشاعر السندباد- في هذه القصيدة- إلي السحر، والموج وزورق العين، وإلي الواقعية علي شاطئ الحسن، وهو بتسميته لرحلة السندباد بـ "الرحلة التاسعة" يتناص تناصا معارضا مع التراث الشعبي الذي عين للسندباد سبع رحلات، كما يلوح بهذه التسمية بإتمامه- دلالية-

لبناية الفكر الحداثي، حيث كتب أحد الشعراء الحداثيين المعاصرين، وهو "خليل حاوي" قصيدته "السندباد في رحلة الثامنة"، كما سنتبين فيما يلي.

الفروسية والبطولة حلم، وقضية مصير تهيمن علي التجربة الشعرية للدكتور صالح، وتشغله حتى في سياق موضوعاته الإنسانية.

مفـــردات الفروسية تفرض ذاتها علي خطابه للحبيبة كما في قصيدة "هـــزائم جمـــيلة" حيث يستفز الشاعر حبيبته للمناورة، والحرب والقتال، مؤكداً لها أنه يحب الحب المقاتل، يقول:

أحببت فيك جنون عاصفة الهوى فترصدي للراسيات وهاجمي

أحلي الهوى عندي، هوى يجتثن حب يقاتلني بقلب مقادم[١٣]

كـــذلك نلاحـــظ هيمنة مفردات الفروسية والحرب علي سياق وصفه للطفولة، يقول في قصيدة لابنته "أروى":

أري في رؤي الأطفال جيشاً من الهوى ومثلي علي جيش الصبابة لا يقوي[١٤]

يصور الشاعر انشغاله بموضوع الفروسية، وقضية الفارس البطل في قصيدته "الأعمي وخيوط البارود" يقول:

في رحاب الزهو ضاعت قدمي وانحني خطوى وتاهت سبلي

باحثاً عن فلق محلولك عن زمان واقف عن بطل[١٥]

في كثير من مواضع شعره، يلح د. صالح في تصوير مدى توقه إلي بطـــولة مدوية تعيد الكيان العربي والإسلامي إلي وضعيته المجيدة، توقة إلـــي ملحمة لائقة بتاريخنا، يقول مصورا هذا الـــ (توقه) في "البحث عن مضارب الوطن":

وشادني في الذرا مشروع ملحمة وعن سنابله الخضراء حدثني[١٦]

هـذا التوق يقف وراء التفاف كثير من قصائد د. صالح حول قضية "تغييب الفارس" وإزاحته من مفردات الحياة العربية الراهنة.

نطالع هذه القضية في قصيدة "فارس الضحى" التي تبدأ بـ اعترافات الفارس بوقائع إزاحته، وبوحه بما عطل قوته، يقول الشاعر:

أنا ما عشقت الهم، الهم معجب متى كان طعم الجرح يحلو ويعذب

ويتعمد د. صالح أن يترك بعض الكلمات في هذه القصيدة دون ضبط أواخر كلماتها ليمنحنا سعة في الدلالة، ويمنحنا إيحاء بالتماهي بين الفارس والشاعر، بحيث يبدو السياق الدلالي منطقيا عليهما معاً، منسجماً مع شخصية كل منهما في ذات الوقت، يقول:

ركبت المنافي، كلها قلب شاعر دم أحمدي في منافيه يسكب

تغربت عن جرحي، وجرحى قضيتي وهذا ابتدائي والنهايات أغرب

الشاعر في السياق السابق- كيان منفي، مجمد في منافيه، الفارس كيان "مغترب، ومن ثم يبدو كلاهما كيانا واحداً يعاني من الإبعاد عن رسالته السامية.

والشاعر د. صالح يريد تحقيق دلاله هذا التماهي في الأبيات السابقة لذا يترك الفعل (تغربت) دون ضبط في آخره يحدد هوية التاء (تاء المتكلم أو تاء المخاطب، ثم يوغل بنا في احتمال التماهي بين الكيانين حين يوجه للفارس حديثه قائلاً:

تلوم حروفي حين تأتي كئيبة ومن جرحنا يا ميت القلب تشرب

ثـم يـتوجه إليه بالتحذير، وينبهه من غفوة تهدده بالتردي والهلاك، يقول:

أفق.. أدلج السمار يا فارس الضحي

تثائبت، والآفاق ناب ومخلب

حروفي التي أنكرتها، نصف حزنها

علي مثل هذا الوجه من أين تطرب

ويـصف الـشاعر انـصهار الكيانين معا في آلام واحد، حين يقول الشاعر للفارس:

انا متعب.. من أين جاءت متاعبي أتت من فؤاد بين جنبيك يلعب

غضبت لأن الجهل أصبح راية وأهل الردي أقوى بيانا وأصلب

الشاعر يعاتب الفارس لأنه رضخ للضغوط، وضيع دربه، وغفل عن أخطار تترصد به، فيقول:

أعاتب وجها، ضيع الدرب عامداً

ولست علي كل المضيعين أعتب[١٧]

الوضعية المأساوية للقوة: (تغييب الفارس):

الفـارس في التجربة الشعرية للدكتور صالح الزهراني قوة محاصرة بوضـعية مأسـاوية، إذ تحـيط بـه الاغتيالات، والانهيارات وعوامل الاستلاب.

تتـنوع عوامل الاستلال إلي تحول قوة الفارس إلي قوة معطلة مدماة غيـر فاعلـة، وتحوله إلي رمز في تاريخنا، رمز ماضوي، وذكري، لا فاعلية حاضرة متحققة.

من أبرز هذه العوامل ابتلاؤه بالجموع الغافلة اللاهية عن أزمتها ومن ثم فهي لاهية عن "ضرورة القوة" وأهمية الفارس في حد ذاته.

هذه الجموع تبدو في الطرح الشعري نائمة، مخدرة، أو لائمة ساخرة من تأزم الفارس ونبل أهدافه، ووقار سمته، وشجنه وعواطفه، وتعلقه بأمجاده الماضية..، هي في عمومها جموع تتسم بالغفلة والسطحية في التفكير، وهو جموع متخلية عن فارسها، خائنة بالتخلي والتعطيل.

لذلك نلاحظ علي مدار التجربة الشعرية للدكتور صالح أن الفارس في واقعنا الراهن (قوة غير متحققة)، فهو يبدو في هذه التجربة منهزما، أو مرتحلا، أو مائتاً، أو غائباً، أو حلماً.

الفارس في هذه الرؤية الشعرية وجود طيفي حلمي فقط.

يصور د. صالح ابتلاء الفارس بالجموع الموهنة لقواه باللوم، وعدم الوعي برسالته. يقول في "عاهة مستديمة":

كلما هزت الحتوف رشيداً نز في ساقه المخبة قرح
كلما شد للقبيلة زنداً أقبلت صوبه القبيلة تلحو[١٨]

يصور الشاعر في قصيدة "كائن بلا هوية" المفارقة المأساوية التي أحاطت بالفارس، فهو يجمع في تكوينه العزة والكرامة وبيارق أبطال المسلمين، والقوة الكامنة الرابضة التي تنتظر إشارة البدء، لكنه- وفي ذات الوقت- معمم بالذل والوجل والعجز والصمت مما يضاد كيانه السامق، لذلك تأتي ملامح الفارس في هذا الطرح كئيبة دائما مما أجبر عليه من جهة، ومما فقده من جهة أخرى. يقول الشاعر:

من أي نهد شربت الصمت والوجلا وأمهاتك صيرن الشجي لملا
من أين عممت هذا الذل.. ما عرفت أرض الشياهين لا نسرا ولا حجلا

في مقليتك أري سعدا ببيرقه وفيلقا لصلاح الدين مبتهلا

أري احتمالات معني كنت أجهله ولم يكن عند من أعلاك محتملا

وهنا يصور د. صالح- تبادل المواقع بين الشاعر والفارس، أو هكذا يترك لنا الإيحاء بالتداخل بينهما، إذ يلتزم الفارس الصمت عند مجابهته بأسئلة الشاعر عن هويته وأسباب تداعيه، ويبدو الشاعر في ذات الوقت مجروحاً مدمي كالفارس من هذه الأسئلة يقول:

من أنت؟ ما قلت شيئاً.. كان يقتلني

بكل حرف بهي كلما سألا

ما قلت شيئا، نكست الرأس مكتئباً

وكنت أطرق مما قاله خجلا[١٩]

وبهذا يوسع الشاعر دلالة عنوان القصيدة "كائن بلا هوية" لتبدو في ظاهرها القريب الفارس المحاط بـ عنته، ولكنها تشتمل معها- مع هذه الدلالة- كل بطولة أشار إليها الشاعر من خلال استدعاء رموز التاريخ، إذ تبدو هذه البطولات في حاضرنا رموزاً مغيبة مجهولة، غير مترجمة أو مقلدة كقدوة ومثال، ومن ثم تبدو البطولة ذاتها كدلالة عامة كائناً بلا هوية.

إن عوامل الاستلاب التي تحيط بالفارس تنال من مفردات فروسيته، لذلك- وكما سنجد في التحليل الفني للصورة الشعرية- يتوحد الفارس وجواده في المصير وفي معاناة قوى الاستلاب، بل يتوحد الفارس وأسلحته أيضاً في هذا المصير.

الفارس والجواد في التجربة الشعرية يتوحدان دائما في لحظة وجودية واحدة، ومصير تاريخي واحد، إذ يجمع بينهما د. صالح زهراني في

طـرحه الـشعري، في المعاناة من التعثر والإحباط وفي لحظات الرجاء والحلـم، وفي مناخات الغياب والانزواء. يتماهي الكيانان، فحين تصيب الجواد كبوة تكتسي عينا الفارس مذلة، وحين يحاصر الفارس بالاغتراب أو الإزاحة عن دوره، يتحول صوت الجواد من الصهيل إلي الحمحمة، أو إلـي الصمت..! يصور الشاعر هذا التوحد المأساوي في قصيدة "ما تبقي من أحزان الرجال" يقول:

يكبو الجواد، وفي عينيه حمحمة يعود يبدأ في المأساة مشوارا[٢٠]

يعود، يعلم أن الدهر ما اتصلت فتوحه، ينجب الإقبال إدبارا

تـستعير شخصية الشاهرة مصير الفارس، فيعبر الشاعر عن تعثره بمفردة (الكبوة) دالا علي مدى توطن هم الفروسية في ضمير، وعلي مدى "نشاط" الكبو في تاريخ الفارس الراهن، يقول:

أجل. كبوت، وهذا فجر قافلتي طمي ليغسل عن الحزن والعار[٢١]

نسيت يوماً متاريسي وخارطتي لكنني ما نسيت الجرح والثارا

الفـارس قوة غير محققة في واقعنا الراهن، لذلك يصورها ا لشاعر حلمـا مرتجـي، حلما كان يرتجي لكنه يواجه دائما بالتثبيط، والاغتيال. يـصور الاغتـيال الذي يشمل الشاعر والفارس، الحروف والخيول في قصيدة "البحث عن مضارب الوطن" يقول د. صالح:

اتعبت هذي الحروف البيض أسرجها

خيلاً، فهل يا مدار الرعب تفهمني

كم كنت آمل أن آتيك معتجراً

حرفي، يسوقون قبلي ألف مرتهن

أغذ أجرد طواحا، وقافية

كأنني في الهوى "سيف بن ذي يزن"

لكنني جئت مقتولا، وقافيتي

مذعورة، جئت أبكي منك يا وطنى

ما جئت أبحث بعد الموت عن علم

تجللون به

يوم الردي

كفي[٢٢]

يـصف الفارس تاريخه كله بأنه تاريخ محزون، مذاقه صديد، ورمل معجـون بالمأساة، وبذلك يفتح أفق دلالة المجنون في قصيدة "نهاية رجل مجنون" لتشمل الفارس والشاعر، يقول:

حسمت تاريخي المحزون أرغفة رملية، فكلوا من رمل محزون[٢٣]

طلائعي عبابرات الكون طلعتها وطلعها مثل هامات الشياطين

ومن صديد دمي حمض وقانفه ذرية في حشاها ألف تنين

رثائيات الفارس المغيب:

لـون جديـد من الرثاء في شعرنا العربي ينفرد د. صالح الزهراني بنحـته في تجربته الشعرية هو "رثاء الفارس المغيب"، وهو رثاء لمعاني الـبطولة والفروسية والقوة والمجد، رثاء للتاريخ الشامخ الذي استعصي علـي التكـرار والمثول في واقعنا رثاء للقوة المغيبة الرابضة فينا والتي عجـزت عـن الـنهوض وعجـزت عن انهاضنا، رثاء للفارس المفقود المرتجي، المبعد، والكامن، في جوانحنا في ذات الوقت.

هـذه الـرثائيات نـصفها بأنها نحت مميز للون جديد من الرثاء في الـشعر العربـي لأنهـا لا تتضمن دلالات الموت التقليدية ولا المشاعر المنبثقة من إشكالية الموت عادة، بل الغضب والثورة، والحسرة من فجيعة الأمة، والخوف من المجهول المحيط بها، الخوف والحنق علي هذه الأمة معـاً..، وفي ذات الوقت تتضمن هذه الرثائيات رؤي للخلاص، وإنهاضا لقوى المجتمع.

الفـارس فـي هذه الرثائيات يصور مؤدودا مغيبا، مبعداً مغتال القوة واللهجة، كما أشرنا في الصفحات السابقة- فهو مرثى باعتباره قوة مغيبة لا باعتباره مائتا كما في الطرح التقليدي للرثاء.

يـبث الشاعر وداعه للفارس الذي خانه قومه عندما قبلوا السلام مع عدوه، واغتالوا فروسيته التي دربها وغذاها برغبته في الثأر لأمته، اغتال قومه هذه الفروسية بعد أن حالوا بينها وبين الثأر، وقبلوا بالهوان: هوانهم وهوان الفارس، يقول الشاعر في "عاهة مستديمة:

أيها الفارس الجميل وداعا	فتحنا رحمة وحب وصفح
أيها الفارس الجميل أجبني	كيف يعلو علي الشوامخ سفح
أنت أكبرتهم، وما اهتز سيف	في يد المدعي، وما اهتز رمح[٢٤]

وفي قصيدة "واقعة"، وهي من القصائد المميزة التي تندرج تحت هذا اللون الجديد من "رثائيات البطل" يبدأ الشاعر بإيقاع جنائزي يمهدنا لتوقع الـنهاية المأساوية التي تحف الفارس. يبدأ الشاعر القصيدة بوصف رحلة بحـثه عـن الفـارس المغيب المفتقد، فيسأل عنه عناصر الوجود الحي، وشواهد الحياة النابضة، الماثلة في الثري والنبات، والماء، يدلنا بذلك علي انضواء كيان الفارس علي الحياة، وعلي تغلغله في عناصر الحياة، ومن ثم- يدلنا علي غياب هذه الحياة بغياب الفارس. يقول:

كنت أسأل عنه

الثري، غصون البشام

أفاتش عن لغة العشق "لوز الجنوب" الذي مد أعناقه

فوق صدر الغمام"[٢٥]

يبـــصر الشاعر آثار الفارس في كل كيان يدل علي القوة، والنبض، والشعور، يبصره في مشاعر الحب، وفي عناصر الخصوبة، وإشعاعات الضياء، يقول:

"كنت أبصره فوق برق الجنابي، عناقيد ضوء إذا ما

استراح المساء وهز الرجال الغرام

كان يأتي إذا ما دجي الليل صبحاً

إذا ما تشققت الأرض غيثا

إذا ما التقي العاشقون

هلالاً

رحيقا من الشاذلية

زوجي يمام"[٢٦]

المواضع التي يتجلي فيها كيان الفارس- في هذه الأسطر الشعرية- هي "البرقي، وعناقيد الضوء، والغيث، والصبح، والهلال، الرحيق زوجي الـــيمام"، وبهـــذا يحمـــل كـــيان الفارس دلالات الطهر والسلام والحياة والخصوبة. ولهذا يصوره الشاعر مبحراً في اصل الوجود بقوله:

"كان يأتي فأسأل عنه دم الكائنات"

يبدو الفارس بهذه الدلالات، وبهذه القوة المؤثرة في الوجود بطلاً غير تقليدي، بل هو أبطال وكيانات في هيئة واحدة يدلنا الشاعر علي تصوره هذا حين يسوق علي لسان الكائنات سؤالا عنه "بضمير الجمع"، يقول:

"يقولون : من هم"

وحين ينعاه الشاعر ينعاه بصيغة المفرد- ربما استشراقا مستقبليا ليبشر بوجود ابعاض الفارس وبقية كيانه كامنة فينا. يقول:

"يقولون: مات

أقول لهم: ترهات"

يصور الشاعر موت الفارس موتا للخصوبة، وعقما للحياة، بما ينسجم مع ما سبق من الأسطر الشعرية التي وصف فيها البطل منضويا علي عناصر الوجود في تكوينه، ولذلك يسوق الشاعر نعيه من خلال تصوير تراجع الحياة في جميع الكائنات، يقول:

"ولما رأيت البنفسج نكس تيجانه

واللوز أذبل أغصانه

والرتابة لفت عيون الجهات

عندها قلت: مات

فعليه السلام"(٢٧)

نلاحظ فضلاً عن رثاء الفارس- وهي الدلالة الأساس في هذا الطرح، دلالة مضمرة يشير إليها الشاعر عبر السياق، هي التداخل بين كياني الشاعر والفارس من خلال التشابك الجدلي بين الأفعال المتوالية، هكذا:

"كنت أسأل، أفاتش، كنت أبصره، كان يأتي، كان يأتي"

كذلك يصور الشاعر موضوع اغترابه من خلال جدلية الحوار بينه، وبين الضمير الجمعي، حيث يظهر هذا الحوار انعدام ثقة الشاعر في قدرة الـضمير الجمعـي علي معرفة مصير الفارس، لذلك فهو يكذبه كما يبدو في:

"يقولون: من هم/ يقولون: مات/ أقول لهم: ترهات"

ولا يسلم الشاعر بموت الفارس إلا حين يبصر موت الكائنات.

ويقـدم الشاعر رثاءه للفارس في قصيدة "سؤال" يجعل غيابه وإبعاده مـن واقعـنا سؤالاً من بين الأسئلة التي يسوقها الطفل- الممثل لضمير المستقبل- في هذه القصيدة.

يـسأل الطفـل فـي هذه القصيدة عن القوة الغائبة، والقول الصادق، والفارس المغيب، يسأل وهو يدرك أن أسئلته محال. يقول:

يا أبي.. للحرف عندي سؤال مستحيل وكل عذب محال

وتتوالي الأسئلة المحال، يقول:

حدثونا، وأسرفوا في هوانا فلماذا لا تصدق الأقوال

فلماذا لا ينجب السيف سيفاً ولماذا لا تزأر الأشبال

تـشمل الأسـئلة كل تفاصيل أزمة الأمة، وهي تمس أهم إشكالية من إشكاليات وجودنا العربي والإسلامي- أعني: غياب القوة.

القـوة الغائبة التي يوالي الشاعر السؤال عنها يجسدها في رموز دالة هي: الصقر الغائب، غصن الآراك والنخيل المائت بما يصب جميعه في هذه القضية يقول:

يا صباح السؤال، سنة ربي ليس له إلا الجليل والكمال[٢٨]

حين تهوي سنابل القمح أرضاً يبتدي مولد، ويدنو زوال

الموت والإبعاد والإهمال مصير الفارس في هذه القصائد وفي غيرها مما أوردنا، ومما سنورد عند التحليل الفني مثل "مرثية الفارس المستقيل، واعتـرافات شاهد الموت و "فارس الضحي" "وصية حرام بن ملحان"، و "تراتيل حراس ابن قتيبة".

يهـيمن مـناخ الـرثاء علي الخطاب الشعري في قصائد د. صالح الزهراني بما يفسر مواضع النجوى والنداء والحنين لهذا الفارس المغيب في شعره، كما في قوله في "الأعمي وخيوط البارود:

في رحال الزهو ضاعت قدمي وانحني خطوى وتاهت سبلي

باحثا عن فلق محلولك عن زمان واقف عن بطل[٢٩]

الهوامش والإحالات

١- ديوان فصول من سيرة الرماد. ص ٦٧، ٦٨.

٢- الديوان السابق. ص ٦.

٣- الديوان السابق. ص ٥٣، ٥٤.

٤-

٥- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا"

٦- الديوان السابق.

٧- الديوان السابق.

٨- الديوان السابق.

٩- الديوان السابق.

١٠- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ١٧.

١١- الديوان السابق ص ٢٩.

١٢- الديوان السابق. ص ١٧.

١٣- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا"

١٤- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٢٧.

١٥- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا"

١٦- الديوان السابق.

١٧- ديوان فصول من سيرة الرماد. ص ٤٠.

١٨- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ١٠٩.

الهوامش والإحالات

١٩- ديوان فصول من سيرة الرماد. ص ٢٩، ٣٠.

٢٠- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ٢٣.

٢١- السابق. ص ٢٤.

٢٢- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا"

٢٣- الديوان السابق.

٢٤- ديوان "تراتيل حارس الكلأ المباح". ص ١٠٩.

٢٥- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٣

٢٦- السابق ص ١٣.

٢٧- السابق ص ١٤.

٢٨- الديوان السابق ص ١٦.

٢٩- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".

الفصل الثالث

اغتراب الشاعر، وبدد رسالة الشعر

مفهوم الالتزام في الطرح الشعري:

الـشعر فـي المفهوم الذي يطرحه د. صالح الزهراني عبر تجربته الـشعرية رسـالة وعي، وإنارة، تحريض علي الجمال والخير والمثال، وليس كلمة حروفا للامتاع أو التسلية والطرب. الشعر في مفهومه مكابدة وجهـاد وقـتال وجدال، بحث وسفر وأسئلة، ووعي حاد، .. الشعر في طـرحه سجال "مع الذات مع ضمير الوجود، ومع الأغيار وهو توق إلي المـثال، وجع من المحال.. إصرار علي "اليوتوبيا" هذا الإصرار ممزوج بألم الرؤيا، والخوف من المجهول.

يطرح الشاعر هذا المفهوم، وهذه الدلالات التي يرتضيها للشعر بدء من عتبات دواوينه، كما في الإهداء الذي تصدر ديوانه "فصول من سيرة الرماد" وهو إهداء لزوجته، يقول فيه:

"إلي أم مازن

رفيقة الدرب التي قاسمتني لوعة الشعر

وغبار السفر: وفاءً بوفاءً

وكما اعتبر الشعر لوعة في هذا الإهداء يعتبره كذلك فى الإهداء الذي تـصدر ديوان "ستتكرون ما أقول لكم"، كما أنه لوعة في قصيدة "سؤال" من ديوان "ورقة من سفر الرؤيا" حيث يقول:

"وفوق جبهتي بقية من لوعة الكتابة"[1]

والـشعر ناء في مفهومه لأنه مكابدة ومعرفة وبحث عن الغاية، هكذا يصفه في قصيدة "مرثية للقمر المكي" وهو يناجي ذاته، يقول:

وأنت، من أنت؟ شعر واكتويت به

وأشعر الشعر شعر لفظه شرر[2]

الشعر كنز ثمين في رؤية الشاعر، لذلك فهو يختص به أحبابه ويهديه إليهم، فيهدي ديوانه "ستذكرون ما أقول لكم"، إلي أبنائه الذين يصفهم بـ "أغاني العش الخمس"، يهدي إليهم "هذا الإناء الأبيض الذي ملأته بعناقيد الشعر".

يهدي الشعر إلي حبيبته في قصيدة "نصف بيت"، ويتقاسم معها بيت الشعر باعتباره حياة يكملانها معاً، فيقول:

خذي حروفي علقي سحرها قرطا، خذي ما شئت لا تخجلي

ويقول لها:

لن أكمل البيت الذي ضمنا عليك أنت الآن أن تكملي[٣]

ومن أقوى الإشارات الدالة علي مدى وعي الشاعر بدور الشعر ورسالته، وأهميته في الوجود والواقع الإنسانيين إسباغه صفة الشاعرية علي كل شخصياته الرمزية، وأقنعته التاريخية،- كما سبقت الإشارة فيما مضي- مثل السندباد، والقعقاع، وشخصية الفارس، والحارس، بل والشخصيات الرمزية التي ينحتها الشاعر من إبداعه، أو يستقيها من التاريخ مضيفا إليها من رؤيته كما في قصيدة "مقاطع من سيرة أبناء يعقوب"، حيث يبدو الأب شاعراً في هذا الطرح.

يقول الشاعر:

"كان أبي مجربا

تعلم الأفكار، والأشعار من مواسم الرمان والحبوب

في قرية ناعسة الأهداب في الجنوب"[٤]

الـوطن ذاتـه قصيدة في عين الشاعر وإحساسه، وبهذا يغدو الوطن جمالاً مكتملا ومثالاً، وتغدو القصيدة كنزاً نفيساً، إذ يضفي كل منهما علي الآخر ضياءه، يقول الشاعر في "في حضرة الملكة" يخاطب الوطن:

أنا أبوح وأنت أحرفي ودمي وأنت كل الذي يأتي به زمني[٥]

صفة الشعر وملامحه:

ملامح الشعر هي ملامح الشاعر، وهي ملامح الفارس والحارس في رؤية د. صالح، ومن ثم فهي ملامح عربية.

الـشعر فـي هـذه الرؤية عربي الإيقاع، والطرح، واللغة، والهم، والرؤي.

يعـرض الـشاعر هذه الملامح المميزة للشعر في كثير من قصائده، يقول في قصيدة "سؤال":

يورق الشعر في فمي عربيا بين جنبيه نبأة وصيال[٦]

ويقول في القصيدة:

عربية القسمات في زمن غدت فيه القصائد نسل كل هجين[٧]

ويقول في "إبحار بلا قلب":

وحملت قلبي وردة وقصيدة عربية لا تعرف الإغرابا[٨]

وفي قصيدة "تصنيف" يضع حدا فاصلاً بينه وبين غيره من الشعراء الـذين لا يـؤرقهم في الشعر رسالته بقدر ما يؤرقهم مسايرته لصرعات الـشكل الجديد، والتغريب، كذلك يميز بين شعره وأشعارهم مؤكدا السمة العربية والهوية الإسلامية لشعره في الهيئة والغايات، يقول:

"أما أنا

قصائدي محككة

يزرع فيها الشعر روحه

يسلك فيها الفن مسلكه

قصائدي لها صفاء ديننا

لها نقاء البدو فوق البيد هذه،

لها شموخ المملكة"[٩]

تستمد القصيدة ملامحها من الوطن، من التاريخ العربي، من الأصالة والعـــروق العربية، لذلك فهي تأتي حاملة الضياء والخير والمطر، يقول الشاعر في "نبوءة العمائم":

وكيف أخرج من جلدي لأشرح عن قلبي وعن نخلة تختال في كبدي

عن القصيدة لا بيت ولا عمد قصائد الحب لا تبني علي عمد

تأتي غمامة عطر، خفق مرضعة صيغت لها الأحلام في ولد[١٠]

تأتي كوجهك تهليلا ومئذنة مادت وجوه الرواسي وهي لم تمد

الشعر في رؤية د. صالح يحمل سمات القوة والمجد، الشعر فاعلية، لـــذلك فهو في تحريضه علي القوة، وإيقاظه لعروق الأمة يأتي في هيئة جـــيوش وفيالق وحروب. إنه يستعير من هذه السياقات ملامح قوتها في إيقاعه ولغته، ويستعيرها في غاياته وأهدافه، فهو مهموم بذات الهم الذي يؤرق الجيش والأبطال. يقول الشاعر:

منذ عشر، والشجو يغزل شعري فحروفي قوافل ورحال

وزنه فيلق من الجرد يغلي وقوافيه بيرق ونصال[١١]

ويقـول في قصيدة "تكوين" التي يجعل فيها الشعر جزءً من تكوينه، وتكـوين الأمـة، ويجعـل الفيالق جزءً من تكوين الشعر، فتبدو كل هذه الكيانات تكوينا واحداً، يقول للقصيدة:

عشر، وأنت علي الحريق رفيقتي وكتيبتي عند الشجي وحصوني[١٢]

مـن أبـرز ملامـح الشعر في هذه الرؤية أنه هداية، ونور، ووعي وخير، لذلك تأتي مفردة "القصيدة" أو مفردة "الشعر" محاطة بأجواء المطر والـنور والـشلال والخصوبة في طرح د. صالح- مما يتعلق بالصورة الـشعرية كمـا سنبين- الشعر مرتبط بأجواء الحياة، باعث لها. يقول د. صالح في "المدار":

لعينيك القصائد، فهي منها ولولا السحر ما قدح الزناد
تجئ غمامة، وتهل فجرا علي إيقاعه يجب الفؤاد
من النمط الرفيع محجبات تريد، ومالها معني مراد[١٣]

صـفة الخصوبة التي يلحقها بالشعر، ويجعل الشعر مفجراً لها، هي ذاتها صفة الفارس والشاعر.

هـذه الكـيانات منبـثقة الحياة، وباعثة الوجود في الرؤية الشعرية، خاصة حين تتعلق بماضي الأمة، وزمن أمجادها.

هـذه الكيانات الثلاث تأتي في سياق وصف ماضينا العريق محفوفة بمفـردات الخـصوبة، فتمتلـئ القصيدة بمفردات خاصة، مثل الصباح والـندي، والمطـر، والإيقـاع النابض وهي في ذات الوقت مثمرة لهذه الخـصوبة وليـست مـنطلقة منها فقط، فهي تلد الغيث والصبح والغيم والنبض، ... الخ.

إن الأمـــة ذاتهـــا في ماضويتها الفاعلة من هذا الكيان الباذخ بالألق والخـــصوبة، وهكذا تتماهي الأمة مع شاعرها وفارسها وأشعارها تماهياً تامـــاً ممـــا يؤكد للناقد مدى الانسجام الفني بين أجزاء التجربة الشعرية، وبين تفاصيل رؤية الشاعر.

يقول د. صالح في "قصيدة لم تكتب" واصفا شعره في زمن فاعليته:

بروقة تنهل في ديمة ليست إذا لاحت من الخلب

يضئ منها الكون، يهفو الثري من مشرق غاف إلي مغرب

أعود في كفي أنشودة ندية كالوابل الصيب

بيضاء مثل الصبح عذرية مفطورة من خافق ملهب [١٤]

هـــذه العناصـــر ذاتها- عناصر الحياة- يصف بها الشاعر كل كيان مـــانح، خيـــر، لذلك يصف بها ابن باز- رحمه الله- في قصيدة "رحيل الأقحوان"، يقول:

أنت شعر، وديمة، وصباح ذكريات في كل قلب تصان[١٥]

وإن عـــضوية ما بين كيان الأمة والشاعر والفارس والقصيدة، تؤكد خطورة موقع الشعر، وخطورة رسالته في هذه التجربة.

مـــن أبرز ملامح الشعر في طرح د. صالح الحزن، فالقصيدة حزينة لحزن الشاعر وكثرة همومه، وانشغاله بأمته، يقول "في حضرة الملكة":

هات فؤاداً بليداً لا يؤرقه هم الورى، وخذي شعراً بلا شجن[١٦]

القـــصيدة أيـــضا ذات ملامح رصينة جادة، حروفها غاضبة بغضب الثورة، والرؤية. يقول في "تقاسيم العشق الجنوبي":

وأغني لمقليتك القوافي حالمات تختال دون رنين

جئت ركضا، وجهي قصائد عشق تتلمس حرفي فيه دفء شتائي

القصيدة تجمع بين مرارة الرؤية، وفجرية البشارة، وصدق الطرح وصراحته، كما يقول الشاعر في "أحزان جديدة":

فم من جراح الناس يغلي ويغرف وللقادم المخبوء يشدو ويعزف
فم "جاء فجري البدايات، لونه صباح وفي أبعاده الحزن يندف
فلو جاء مرا طعمه لا يرعكم فمن جرحكم يا نخلة الحزن يندف
أتي عاريا، لا يتقن الزيف شعره وأكثر شعر العصر شعر مزيف
حروفي لظي يا سادتي، لا لأنني عنيف، لأن الجرح أقسى وأعنف

والشعر في طرح د. صالح رسالة "أمينة" لا تقبل التزييف أو التضليل، لذا يقول- متابعاً في ذات القصيدة:

أبدد صمتي بانتعاشات أحرفي وأزجي قوافي التي لا تزخرف[18]

وحين يقدم تراتيله للجماهير في قصيدة "بيان للجماهير المحتشدة" يصفها بقوة المواجهة للأزمة دون التوسل بأعذار، أو الاختباء خلف مبررات، يقول:

ولساني يذوب عطرا، وقلبي لجراح الزمان أضحي مطارا
إن يكن بيننا فم "هاشمي جعل الزيف للحروف شعارا
فأنا ما اعتذرت ، أدرك دوري وحروفي لا تتقن الأعذارا[19]

القصيدة في موضع آخر بوح "وحزن"، وصفاء رؤية، يقول الشاعر:

يضيق رحب المدى، ينطوي بيدي

في الهم لاحد بين الشام واليمن

عمامة من صفاء البوح ألبسها

غلالة من نفيع الحزن تلبسني[٢٠]

ملمح بارز للشعر في رؤية د. صالح هو أنه تراتيل حب، وجنون عشق، وحرقة صدق يقدمها للحبيبة الأولي، الماحقة لكل حب آخر، وهي الأمة، والوطن.

يقول في "تقاسيم العشق الجنوبي":

هذه قبلتي، وهذا حنيني	واشتياقي ولوعتي وجنوني
هذه رعشة الهوى في فؤادي	زلزلتني برغم كل سكوني
فاقليني إذا غزلتك لحنا	معبديا، فأنت كل لحوني
يا مدار النشيد: هاك سهادي	هاك حبي وحرقتي وأنيني
هاك شعرا سكبته فيك حراً	لؤلؤي الحروف جم الفنون[٢١]

أبعاد رسالة الشعر في مفهوم د. صالح:

إن تضافر الكيانات والماهيات في التجربة الشعرية للدكتور صالح الزهراني يجعل من الصعب الفصل بين محاور موضوعات تجربته بعناوين مستقلة، ويهدد الدراسة النقدية بالتكرار، سواء تكرار الملاحظات النقدية، أو تكرار المواضع الشعرية الدالة علي هذه الملاحظات.

عانينا هذا التهديد عند محاولة الفصل بين ماهية كل من الفارس والحارس والشاعر، ونعاينه الآن عند تلمس مفهوم الشاعر لرسالة الشعر، إذ نلحظ ذات التماهي بين هذه الكيانات بعضها وبعض، فضلاً عن التماهي بينها وبين كيان القصيدة ومن ثم دور الشعر ورسالته.

الـشعر فـي رؤيـة الشاعر أحد أهم حراسها، بل يبدو في كثير من قصائده حارسها الأول. الشعر عين الامة الرائية، الحارسة الأمينة، وهو رؤية محبة للأمة بما يحمل من فداء ووعي، وصدق، وصفاء استشراف. يقول واصفا هذه المسئولية في "رسالة أميرة الغرابة":

في داخلي ألف سر عن محبتنا في موطن حارساه الحب والرشد[٢٢]

الشعر هو "خميرة الممكنات"- كما يصفه د. صالح في القصيدة التي عـنوت بهـذا العنوان-، هو القوة المحرضة وهو استفزاز الحلم، يقول الشاعر واصفاً نبل رسالته في قصيدة "في مواكب الجلال":

هو الشعر الجميل إذا تهادي تجلي الفجر وانبلج القتام
ولولا الشعر ما خفقت قلوب ولا هز الصناديد الغرام
ولو كتبت حروف المجد كف بقبضتها، ولا خفق الحسام[٢٣]

الـشعر يدافع عن الحياة النقية. هذه هي رسالته في هذا الطرح لذلك يـصفه د. صـالح بأنه حروف خضراء، وهو في ذات الوقت- جيوش وفـيالق كما يجب أن تكون القوة الحامية لهذه الأمة. يقول في "إبحار في قلب":

تأتي الحروف الخضر وجها ناصعاً وتصير في حلك السواد شهابا[٢٤]
بين وبين الشعر عهد "دائم" أن أجعل الحرف الطهور شرابا
وأصوغ منه كتائباً ملكية تبني لتاريخ الجمال قبابا
فلكم جعلت الشعر بيرق طلعة واخترت خيل الفاتحين عرابا
أشرعت للأحباب مملكة الهوى وبنيت فوق جبينها محرابا
وفتحت أبواب القصيدة كلها وهجرت من فتحوا لي الأبوابا

هذا الوعي برسالة الشعر يدفع الشاعر إلي إدانة جميع الشعراء غير الحاملين لهذه الرسالة، محتفيا بشاعر واحد هو المشغول بهم أمته، يقول:

شاعر يبكي فلا يبكي علي ثوب ولا لفظ، ولكن موت أمة[٢٥]

ويلـزم د. صـالح نفـسه بهذه الرسالة، لذلك فهو هذا الشاعر الحق المهموم بأمته علي مدار تجربته الشعرية، والذي اعتبر ذاته حارس الأمة، وحامل تاريخها، والمنشد لتراتيل هواها في "تراتيل حارس الكلأ المباح"، هو صاحب رسالة ووعي ممزوج بالحزن وشجن الرؤية للعجز عن القيام بهـذه الرسـالة، ومن هنا تأتي تراتيله حزينة في الغالب مصحوبة ببكاء الشاعر وأنينه، كما يقول في قصيدة "بيان للجماهير المحتشدة":

جئت أبكي علي، أبكي عليكم نصف قرن، ونحن نقطر عارا[٢٦]

يقـدم الـشاعر هذه التراتيل ليبث بها شجونه فقط، ولكن لينهض بها القوة في الإنسان، والمكان. يقول في نبوءة العمائم":

هنا، ومن فيض هذا الرمل أغنيتي أمدها، والهوى ضرب من المدد[٢٧]

أمدها حبل لوز من دمي، وفمي يصوغها، يا جبال المنتهي لتقدي

وفـي قصيدة "قسم" يدور القسم حول رسالة الشعر بأن يكون إضاءة وحـروفا هاديـة، ويكون بمثابة الروضة الداعية للقيم، وأنشودة لأطفال المستقبل، نجاة من الهاوية، وكشفا وإدراكا. يقول الشاعر:

أقسمت أن يبقي فمي قافية روضاً يغني الغيمة الآتية

يصوغ للأطفال أنشودة خضراء تستاق الندي زاهية

أقسمت أن تغدو حروفي صوى لأمة تسعي إلي الهاوية

أن يستبين الناس أحزانهم أن يعرفوا أسرارها الخافية

أن يدركوا أن الشراع الذي يرسو سيلقي موجة عاتية

ويقول واصفا ما يرتجيه من الشعر، وما يرضاه له، ومنه:

الشعر عندي رحلة عذبة وقودها كلا، ولا النافية

أشق هذا الكون أبغي ورى ميادئا، أفئدة صافية[٢٨]

يـــصر الشاعر علي أداء رسالته هذه رغم كل ما يواجه من مكابدات فيقول في "مسافر بلا وصلة":

كلا.. سأطعم هذي البيد قافية رزقتها، ولكل الناس ما رزقوا

ما زلت أحرق ألحاني، أعلقها نجما، لمن ضلت به الطرق

ما زلت أحرقها حبا، ولي أمل فيهم، سأحرق حتى ينفد الرمق

كمـــا يـــصف اضـــطلاعه بهذه الرسالة، وجحود قومه به وبها معا، فيقول:

من أين يا أمة أمهرتها ألقي سقيتها من شبابي الغض أنهارا[٣٠]

وهبتها خافقا حرا، وقافية بكرا، وكانت قوافي الشعر أبكارا

كمـــا يقول مؤكدا أن رسالته نابعة من حاجات أمته، وأن حزنها من مخاض أحزانها جروحها، وأنها لسان الواقع، وضمير المجتمع. يقول:

ما كنت أخدعكم بالحب، ما كتمت

قصائدي عن رفاق الدرب أسرارا

كانت علي جركم تهفو مقبلة

وتستقي منه أحلاما وأفكارا[٣١]

الشاعر في هذه الرؤية هو "الأنا الفاعلة"، المغيرة، المتصدية بالفداء، والـثورة، والأمل، والوعي، ومن هنا فإن حضوره ساطع في ملامح كل الشخـصيات التـي يبعثها د. صالح في قصائده. الشاعر هو الرجل الذي تنتهـي بـه رؤاه إلـي الجـنون، هو الفارس، وهو الشاهد علي الزمان والمكان، وهو حارس الكنوز.

يصور د. صالح شخصية الشاعر في قصائده باعتبارها نقطة الضوء فـي انطـلاق الأمة إلي خلاصها، وهو مصدر البروق والضياء والفجر، والغيث. يقول في "نهاية رجل مجنون":

من نهر كفي جدب الكون، من ولعي بالنار أورق جمرا قلب نيرون
تناسلت لغة النيران من جسدي من "قندهار" إلي أكتاف بكين
واليوم يصلي لظاها ألف طاغية ويصطلي حرها الشعب الفلسطيني

تكـوين الشاعر من كيان الأمة، فملامحه من ملامح الأرض، والدم كما يقول الشاعر في "الأعمى وخيوط البارود":

أنا دم من جراح الماء والطين لا صنت وجهي ولا أدركت تكويني[٣٢]

يحاط الشاعر – وفق هذه الرؤية– بمفردات الفعل والثورة، لذلك تأتي في سياقاته مفردات حادة صاخبة مثل النار، والدم والهدم، ومفردات دالة علي البدء والفجر والبعث، مثل الضوء، والصباح.

ونلاحـظ هـنا وجه شبه بارز بين ملامح الشاعر التي يطرحها د. صالح الزهراني، وبين ملامح الذات الحداثية التي يطرحها شعراء الحداثة المعاصرون في قصائدهم، وعلي رأسهم "أدونيس" نتلمس وجه الشبه هذا فـي سـياق وصـف الحداثيـين لكيفية الخلاص من الوهدة الحضارية، والانتقال من الثابت إلي "المتحول". يقول أدونيس– في موضع نظنه دالا علي هذا التشابه:

"أنا الدم النافر من حضارة ذبيحة

يشعل نار الموت

يطفئ نار الموت"[٣٣]

كما يقول، وقد ارتكز علي مفردة "الدم" في الرؤية، والتغيير:

"حقا أنا الطاغية وأعلن جمهورية الدم

ألا فليكن شغلك الرئيسي أيها الانشقاق وليهتز

تحت حواسنا عرش الأشياء ولتزلزل دولة الموازين"[٣٤]

وكذلك يعلن أدونيس ارتكازه في رحلة التغيير الحضاري علي الحلم والوجد مثلما يرتكز الشاعر في طرح "د. صالح الزهراني، – مع انتباهنا إلـي تلبس هذه المفردات عند أدونيس بدلالات حداثية تختلف عن دلالتها اللغـوية المعـتادة، وتختلف أيضاً عما أدركناه من دلالات في طرح د. صالح، يقول أدونيس:

"أعلن شرع اللعب، الوله، الحلم، الأشياء"[٣٥]

تتـشابه ملامح الذات الشاعرة في قصائد د. صالح مع الذات الحداثية فـي نقطـة التقاء هامة بارزة، هي بروز كل منهما في سياقها باعتبارها مركـز التغيير: تغيير الواقع، والمصير الحضاري، مركز سطوع النور والفعـل. تبدو كل منها ثورة علي سائد- مع اختلاف نوع السائد في كل سـياق- وداعـية إلي متحول "مبركن"، ويبدو التشابه حتى في مفردات القاموس الداخلي لهذه القضية.

تتشابه ذات الشاعر في طرح د. صالح الزهراني، والذات الحداثية- في الطرح الحداثي- في الوضعية الأسطورية لكل منهما في سياقها، فهذه الـذات تـبدو في هيئة ميثولوجية، وكأنها من قوى الكون الغامضة، تبدو

مخلوقة من كافة عناصر الكون، قادرة علي التأثير في كل هذه العناصر، وقـادرة أيضا علي فهم الأشياء الجامدة، والكائنات، وهي تنفعل بكل هذا، وتـستوعبه، وتتماهـي معه، وتترجم عنه في القصيدة.. بل إن عناصر الكـون تتدانـي لها، وتتفجر حياة بقدومها أو بمجرد ظهورها وإشارتها، وكأنها فعل "خارق خاص.

الـذات فـي الطـرحين الشعريين دم ونار وجنون وبروق وعاصفة واجتياح، وطوفان، وفضاء، .. هي حرية وقوة وضوء وتغيير.

ترتكز هذه الذات- أيضاً في السياقين- علي الجنون والاحتراق وحدة الخطـاب في رؤياها للخلاص، كما ترتكز علي السفر والترحال، وجرأة التـصدي للأغـيار، وترتكز علي كل معاني الاستشهاد، والالتحام بكيان التاريخ.

نعـاين هـذه الخـصوصية في ذات الشاعر في طرح د. صالح في قصيدة "وصية حرام بن ملحام"، حيث يقول:

من جبيني تضئ هذي البروق وفؤادي زوابع وحريق

لا شكوت الهوى، ولا ثلت قلبي إن هذا بحبنا لا يليق

كل شبر في مقليته نشيد من غرامي، ونضرة وحريق

لم تضق بي عيناك، كانت مدارا شاعريا، وعالم الناس ضيق

ورحلنا في جرحنا، ما افترقنا والمنايا من كل فج تتوق

الـشاعر في هذا الطرح محاط، بالخطر، بل واقف في قلب الخطر، ومـع هذا فهو مخاض النور والحياة، تنبعث الحياة من استشهاده وقرابينه لأمته. يقول د. صالح متابعاً:

كم سقيت الثري، دمائي ودمعي واجبات عندي لها وحقوق

فأنا في النوي، وفي كل ساق حفظته للنائبات العروق

وأنا فوقها هلال وشمس وغروب عن وجهها وشروق

وأنا روحها، زفير أساها كلما ضاق صدرها والشهيق

وأنا خيلها إذا هل خطب وقليل في النائبات السبوق[٣٦]

مفردات رسالة الشاعر وتفاصيلها في هذا الطرح المميز تشير إشارة واضحة إلي أنه الجمرة الكامنة في الرماد: رماد الأمة أو- علي الأقل- هو أحد ملامح تكوين هذه الجمرة. هو الجمرة التي تنبح وتعاني، وتشطر، ومن انشطارها تتولد نار جديدة يكون منها البعث "الأسطوري للأمة.

الشاعر إذن يقدم قرابينه متعددة لفداء الأمة، قرابينه هي: ترمده، وانشطاره، وآلام ابتعاثه لبعثها...، هكذا يجب أن يكون الشاعر، وهكذا يصوره لنا د. صالح في وعيه برسالة الشعر.

لذلك يجعل د. صالح ملامح تكوين الشاعر هي ملامح تكوين الأمة ومصيره مصيرها، فهو مزاج من الصحراء والشعر والفجر خليط من ملامح الأجداد، وإيقاع القوافي، يقول في قصيدة (تكوين):

عنف الصحاري الظامئات مواجعي

وعتاب عصف السافيات أنيني

أنا يا قوافي الشعر فجر صبابه

ومدارا أغنية، ونهر فنون

أتعبت رجلي في الدروب مسافرا

زادي علي جمر الطريق لحوني

فوق السراة زرعت ورد ر عاشي

فتمايلت فوق السحاب غصوني

ونسجت من لوز الجنوب دفاتري

وكتبت بين غدائر الزيتون

عرشي علي ظهر الرياح، ودانتي

شبابه تطوي حصاد قروني

هـذا المفهـوم الخـاص برسـالة الشعر وصفته وموقعه في الواقع والوجـود الإنسانيين دفع الشاعر إلي إدانة كل شعر شد عن هذا السبيل، وكـل شـاعر غافـل عـن هده القضية وهذا الالتزام.. الالتزام بالوعي والإنـارة، ولـيس الالتـزام بالسرد الحرفي للأحداث والوقائع. يقول في قصيدة "الشعر":

"الشعر في هدا الرمان جله

مسارح وصعلكة

قصائد مجمركة

أهدابها شرقية

ألبابها غربية

أفكارها صوفية مؤمركة"[٣٨]

وفـي قصيدة "لوغاريتمات عربية" يصف د. صالح السائد من الشعر باعتـباره جزء من هذه اللوغاريتمات، إذ يبدو هذا الشعر غامض الهوية، ملفقا متغربا، لا يصف واقعنا أو همومنا يقول:

والشعر يا ملهمي في عصرنا لغة خبثي الحروف فلا أصل ولا حسب

تأتي القصائد امشاجا ملفقة غربية القد لا رأس ولا ذنب

علي (دخان المقاهي) شب مطلعها فوجهها كرماد المل مكتئب

شلالها كنسئ النبع، ليس له لظامئ في مفازلت الردي إرب

وبيتها عنكبوتي إذا عصفت هوجاء طارت به الأوتاد والطنب

كـذلك يـصف القصيدة المعاصرة الغالبة علي أسماعنا بأنها كالناقة الضعيفة بعد قوة، وكالمرأة الغربية (المتحلية بصليبها)، فيقول:

دعيها، ليس فيها من مشاعرنا رضا إذا حادت الأفراح أو غضب

تجر رجلين من خوف ومن خور وكان من طبعها الإرقال والخيب

تحب من طائر الفينيق خفقته بكر الجناحين لما يسكن اللهب

شقراء، عارية النهدين، كاسية وصدرها علقت في صدره الصلب[٢٨]

يدين الشاعر كل القصائد الغافلة، ويتهمها بالخيانة، كما يدين القصائد الكاذبـة المضللة التي تغيب الوعي، كما في قصيدة "الكون الفسيح" التي أشرنا إلي دلالتها هذه في موضع سابق.

طبيعة الصراع مع المجتمع:

الـصراع والمكابـدة والاغتراب قدر الرائين والمتميزين وأصحاب الرسـالات والـرؤي، وقدر الصادقين المهمومين بمصير أمتهم ومستقبل مجتمعاتهم.

هذه الفئة هم أصحاب المسئولية حقا، هم المسئولون، ويجب أن تطلق عليهم هم هذه التسمية، فهم يكابدون من ألوان الإزاحة والإبعاد والإقصاء، ما يصل بهم إلي حد الاغتراب ويجعلهم في حكم "اللامنتمي" فيحاصرون بـين مذاقـين متـضادين شـديدي المرارة: انتماء الرسالة والمسئولية،

والالتـزام، والاغتـراب كعقـوبة أو جـزاء ومصير دفعه إليه المجتمع الـرافض لرسـالته، أو غير الواعي بها...، ومن ثم يصبح الاغتراب ذا مذاقات فريدة معقدة هي: اغتراب الرؤي، اغتراب الفكر، اغتراب الروح والشعور.

يـدور الصراع في شعر د. صالح بين كتلتين هما: الفارس والشاعر والحـارس والشاهد والبطل المقصي من جهة وبين كتلة إقناء القوة التي يسميها الشاعر بتسميات مختلفة في قصائده، فهم: المظلمون، والمجنون، والأعداء، وأصحاب الحروب الفندقية.

هـذه الكـتلة المعادية تنظر إلي الشاعر باعتباره خارجا عن السائد، شاذا غير مألوف، بينما هو ثائر علي الوضعية الخاطئة التي غيرت حال الأمة، وانتقلت بها من الزهو إلي الانهزامية.

وتشير كثير من عناوين قصائد الشاعر إلي هذا الثورة وهذا الخروج، وهـذا الصراع مع المظلمين. من أبرز الأمثلة الدالة قصائده: "لغة خارج الأبجدية"، "الغناء خارج السرب". وملامح الشاعر في هذه القصائد- وفي غيـرها- هـي ملامـح المغترب المبعد، الطريد، الجريح، الطريح فوق مآسيه.

يـصطدم الـشاعر بالمجتمع، أو بقوى الظلام فيه، لأنه أراد لهذا المجتمع الخـروج مـن ركـام الجاهلية إلي بزوغ جديد وحياة، فكان أن اتهم الشاعر الرائي، كما يتهم كل صاحب التزام يقول الشاعر في "أحزان جديدة":

لأني صريح في فمي ألف لوعة ولي من ركام الجاهلين موقف

يصيحون في وجهي، بلا أي حرمة هوانا حضاري وهذا تخلف

فألثم جرحي، أنكفي في قصائدي

وأمضي إلي قصدي، وفي القلب مصحف[٤٠]

الـشاعر لا يطلـق علي معادي رؤاه لقب المظلمين دون تعمد، بل يـسميهم بهذه التسمية، لأنهم يعادون النهار المتجلي في رؤاه الصريحة، وتحريضه علي الحياة النقية الطاهرة. يقول في "بيان للجماهير المحتشدة":

كلما لاح لي الصباح نشيدا أسدل المظلون دوني الستارا[٤١]

وأنا فوقهم ألوب بجرحي من يجاري بما يدور المدارا

أنا يا سادتي حملت هواكم في وريدي، فجاء حبي شرارا

وفـي قصيدة "تصنيف" يصف الصراع بينه وبين هذه الفئة المظلمة التـى تـصفه بـ" الغرابة" إعاقة له عن رسالته، وإدانة، وتخويفاً له من خلال التلويح بخروجه عن السرب، يقولون له:

أنتَ ضد التيار، فجرُ غريب وأنا مولع بحرب التّيار

ويصر الشاعر على الصمود فى هذا الصراع، مؤكداً أن " تصنيفه" لا يشغله، فرسالته أعظم من التصنيف، ومن الصراع، ومن الإعاقة، يقول:

صنفوني... قولوا مساء نهارى غامض، ناصعُ الرؤى كالصحارى

صنفوني كما تشاءون، قولوا أىُ شئ... إني اتخذت قـرارى

هاشمي، عيناه قمحٌ وماء بـدوىّ يـدور ضدّ المدار[٤٢]

الـشاعر يقابـل تـصنيفهم لـه بتصنيف آخر لذاته وهويته، وهواه وطموحه، فهو هاشمى الهوى والهوية، يدور ضد المدار، ضد السائد، لا لمجرد المخالفة أو البروز، أو المكابرة، بل لإبراز الحق ومواجهة الباطل.

وكمـا صـنف الشاعر ذاته، يصف شعره بأنه واقعي، دفعه إلى هذه الواقعية همومه وحال أمته، يقول فى " بيان للجماهير المحتشدة":

مار كبتُ الخيال أطلبُ معني والمعاني فى ظلكم تتبارى

واقعي، وهل يطير جريح		دمه تستحم فيه الصحارى

واقعي تندس فيه الفيافي		فاقرأوا سحنتي شجي وغبارا

أنا منكم لن أستعير لباساً		غير جلدى، والحر لن يستعارا

إن يكن بينا فم هاشمي		جعل الزيف للحروف شعارا

فأنا ما اعتذرت، أدرك دورى		وحروفي لا تتقن الأعذارا

أما منكم جرحان فى صدر حر		فافهموني إن كنتم أحرارا (٤٣)

فـى قـصيدته شديدة التميّز طرحاً وصدق عاطفة وهى " لغة خارج الأبجديـة" يـصوّر د. صـالح المفارقة بين عالم الشاعر، وعالم الواقع، يـصف الـشاعر وهـو يعيش منغمسا فى رؤاه، فى عالم من نور وألق وصفاء وبراءة، وتلقائية، ومن هنا يبدو عند اصطدمه بعالم الواقع غريباً مختلفاً، نائنا.يقول مخاطباً وطنه وأمته:

"كنت يا مغلقة العينين" مفتوحاً على الرؤيا صباحا

خارجاً من وَدْق أبياتي فما حراً، حماماً مسرجاً

بالنور والنار على شلال " طين"

وعلى " ذات القرون"

وعلى مدخل جرحي أوقفوني

قرأوا وجهي وكفي

نبشوا أبيات شعرى

كشفوا حتى جفوني

حدّدوا عمق الزوايا فى عيوني

قلبوني"

ويُسجل الشاعر في نهاية هذه القصيدة إدانته لهؤلاء " الأغيار" المظلمين الذين لم يفلحوا – رغم دقة هذا الفحص وقسوته– أن يتعرفوا على هويته، فكانوا مدانين بـ" إدانتهم" له وجهلهم به. يقول الشاعر:

" ومع دقة هذا الفحص لمّا يعرفوني

صنفوني

ضمني مجهولي الهويات، وأرباب الجنون

واستوى الذبحُ على الأعناق فاستدرجهم

فدعوني"

لكي إدانة الفئة المظلمة ووصفها بالجهل والسّطحية لم تمنع من انهزامية الرائي، واضطراره إلى الصمت أمام قوى الظلام هذه، وهكذا تنتهي كثيرٌ من قصائد د. صالح باستضعاف الرائي، وانحصاره عند التكاثر عليه. يقول:

" قُلتُ : غيض الوقتُ

لا تنفعلوا..... هاكم سكوني!!!

منذ فتحت وصوتي شاحبٌ

كعصفور سجين

فافهموني

حاولوا لو مرة واحدة

أن تفهموني"(٤٤)

الأزمة بين الشاعر والمجتمع، والصراع بينهما موضوع أساس في شعر د. صالح الزهراني، يستمر طرحه له حتى ديوانه الأحدث " ورقة

مـــن ســـفر الرؤيا". يُصوّر الشاعر هذا الصراع باعتباره قدر الشاعرية وثمنها الباهظ، والضريبة الملازمة لكل موهبة.

يجسّد هذا الصراع فى قصيدة " السفينة" حيث يصف لنا كيفية صنعه لسفينة من رؤاه وإيقاعه وقصيده، نجاة للأمة وإنقاذ لها، فكان أن كوفئ- كالعادة- بالجحود والرفض والضغينة! يقول:

" وعندما استوت، قلتُ لهم: هيا أركبوا

سبحان مُجريها ومرسلها، وسارت السفينة.

فحوقلوا، واختلفوا ، قلتُ لهم: تنكروا

عجوزنا المسكينة

فاحتملوني زبداً، وثارت الضغينة

واقتسموا حلمي الذى نسجته وسافروا"

ويفـسّر الـشاعر- فى هذه القصيدة- أسباب معاداة المجتمع للشاعر الرائـــي، وتتجسّد بعض هذه الأسباب فى اختلاف مفهوم الطرفين للشعر: فالـشاعر يعتبر الشعر رؤية وفعلاً وحكمة، وقوة... والمجتمع- أو قواه المظلمة- تريد الشعر متاعا رخيصا ومسرات ساذجة. يقول:

" يريدون مني، من حكمة الشعر ألا تعتبر الحروف جوادا

لأن الحروف النقية لا تُشبه البنكنوت

يقولون أن لم تكن فالزم الصمت، كن ملهما اقرأ الممكنات تفرس جبين الزمان عيون المكان، تعلم متي لا يجوز الكلام متي لا يصح السكوت

يريدون مني.....

يخيطون حولى شراك الضغائن، يبنون كالعنبكوت"[٤٥]

تـــرداد حدّة الصراع بين الطرفين حين يلتزم المجتمع برفضه، ويصرُ الـــشاعر علـــى رســـالته- بما يُشكل أقوى المواضع الشعرية الدالة على النزعة الدرامية فى شعر د. صالح - ويبدو الإصرار على رسالة الشعر وعـــذاب الرسالة دلالة من دلالات حزن الرجال فى " ما تبقي من أحزان الرجال". يقول الشاعر:

يا أُمتي: يزرعُ الباغون فى هدبى سيفاً، وأزرع فوق السيف ثوارا

ما اشتد إصرارهم إلا ليجعلني أشد من موجة الظلماء إصرارا

كلما اشتد باغ فى تسلطه ازددت فى أعين الباغين إكبارا[٤٦]

هـــذا الـــصراعُ مع المجتمع لا ينتهي، ويراه الشاعر صراعاً أبدياً لذلك يُـــصوره عبـــر رموز المستقبل: الأبناء، فيسوق على لسان الطفل دهشة واســـتنكاراً مـــن إعـــياء حـــروف الشاعر من هذا الصراع، يقول فى " اعترافات شاهد الموت".

فيرى صغيرى أحرفي تعبت فيقول: ما للحـــرف يا أبتـــي

فأقول: يا ولدى لهم لغة فى العشق.. لايدرون ما لغتي[٤٧]

ويـــبث الـــشاعر قـــوى الإصرار فى نهاية هذه القصيدة- وفى مواضع أخـــرى غيرها - مؤكداً رسالته والتزامه، وأنه الجمرة الطالعة من الرماد صوب جذوة جديدة، يقول:

سينث يا عيني صبح هدى وتلوحُ من عمق الدّجى سمتي

وسيذكرون مواقعي، ودمي وقصـــائدى الولهي وقافيـــتي

ويرى الذين حملتُ جرحهم أن الرياح تهب من جهتي[٤٨]

جحود المجتمع وتنكره لرسالة الشاعر:

المجتمع يواجه الشاعر بجحود دوره، وإنكار نبله ورسالته، ويصوّر الشاعر هذه المذاقات المريرة عَبْرَ جميع مراحل تجربته الشعرية. يقول من ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح":

أنا يا سادتي حملتُ هواكم في وريدى، فجاء حُبى شرارا[٤٩]

يقول فى قصيدة " الكون الفسيح"

ضقت بالحق من فمي يا صديقي ولقد ينُكر الفصيحَ فصيحُ[٥٠]

ويقول ساخراً فى قصيدة " تعليق على ما قاله لقيط بن حارثة" من ديوان " فصول من سيرة الرماد":

غضبتم عندما كاتبتكم بدمي فلتصفحوا؛ إن خير الناس من صفحا

يُصوّر الشاعر هذا الجحود والنكران باعتباره عاملاً من عوامل احتراق الشاعر، وأمانة رسالته، ومن ثم- عامل من عوامل وهى الأمة، يقول:

أوقدتُ من نار قلبي فيهم قبساً وها أنا بدخان القلب أختنقُ

وفى قصيدة دائرة من ديوان" ورقة من سفر الرؤيا"، يصنُع الشاعر من وفائه وجحود أمته طرفي. دائرة تُحيط به وتحاصره. يقول مخاطبا الأمة.

حملْتك فى هواي، وفوق جرحي وكنت مسائي الزاهي وصُبحى
أخيطُ لك النجوم رداء مجد وأبني فى خيالي ألف صرح
وأرحلُ فى هواك خيال شعر وانتعلُ المدى وأشتد نزحي
وأسكب للجلال ندى حروفى واقصر هامتي وأطيلُ مدحي
وأسرج للصباح خيول وجدى فتطعن مهرتي وتشك رمحي

وفي قصيدته " هرائم جميلة" يواجه الشاعر جحود الأرض كلها وغصبها بما يُطفئ إقباله على الحياة، وتوقعه الساذج البرئ للاحتفاء به، ورفعه فوق الرؤوس كما يجدر بكل راعي يقول:

أقبلتُ للدنيا قصيدة شاعر ... وندى قرنفلة وهب نسائم

فاستقبلتني الأرض وجه عاصب ... وجموح عاصفة وقبضة ظالم

وبدأت في درب الحياة مشرداً ... ما بين شمس ضحي وليل قاتم

ونثرت عطري للثريا والثرى ... ورسمت أحلامي بهذا العالم

فتناسل الحُسّادُ من نجوى فمي ... وعبير ألفاظي حيوش مظالم

لكنني أبحرتُ لا يطوى يدى ... قيد، ولا كسرُ المجادف لائمي[٥٤]

يصور الشاعر هذا الجحود وهذا النكران باعتباره بعض أسراره التي يكتمها في ضميره، ويلوح بها لرفيقه دربه في قصيدة " رسالة" ويصف هذا الجحود بأنه النار التي تحرقه وتهدده بالإفناء، لكنها في ذات الوقت- نار ملهبة مشعلة لقواه باعثة لغضبه، وثورته، وحزنه. يقول:

بيني وبينك أشجانٌ معتقة ... أخفيتها بين ما أخفيت من حُرق

كتمتها ودفنت الهم في كبدي ... جمرا تسعرُ من نيرانه حُدقي

فصغتُ في زمن النكران قافيتي ... سحابة فاغرقي في الشعر واغتبقي

هذا التجاهل والإبعاد يصوره الشاعر عاملاً من عوامل ألمه وعوامل " اغترابه" يقول في " فواصل للصبح الجنوبي":

وتناسي أحبتي لون وجهي صرت في عرفهم سقوط ورجسا

شربوا من دمي، ومصوا رحيقي وأقاموا فوق الفيجعة عُرســا

وأشرأبت أعناقهم لوداعي يرفعون الأكف " روما" وفرسا"[٥٦]

ظاهــرة متميزة في شعر د. صالح فيما يخص قضية اغترابه وصراعه مع المجتمع هي شكواه للوطن من جحود الوطن، شكواه للأمة من جحود أبنائها.

يقــول فــي " رســالة إلى أميرة الغرابة، شاكياً إلى أبها جُرح الجحود وآلامه:

أحببتُ ، والحبُ في شرع الهوى ترفُ

وعاشق الحرفِ لا تدنو إليه يد

فجئت أطلبُ من كفيك معجزة

فمن صببتُ لهم صافي الهوى جحدوا[٥٧]

ويقــول فــي مسافر بلا بوصلة وقد تلبس الحالة الاغترابية التي عانتها زرقاء اليمامة من تكذيب قومها لرؤاها، وإقصائهم لها، يقول:

ففي حروفي صباحٌ لا نظير له وفي صباح حروفي يغرقُ الفسق

لحفُتهم بجروحي ما تركتهم لجرحهم؛ كلنا في الهــم نتفــقُ

أوقدت من نار قلبي فيهم قبساً وها أنا بدخان الحب أختنــــق

صدقتهم بمواويلي وكذبني قومي، وأقسمُ أن القوم ما صدقوا

إني وثقت، فكان القتل من ثقتي فكان أني بغير الله لا أثــــق

ويصوّر د. صالح مذاقاً فريداً من مذاقات انشطار الشاعر- وكل مبدع عامة- هذا المذاق هو التأرجح وحيرة الانتقال بين تجاهل المجتمع وإقلاله من شأنه من جهة، وبين شعوره بالشخصانية والتميز وبروز" الأنا" بانتسابه إلى الإبداع، واقتداره عليه. يقول فى قصيدة " الريحانة":

وتجعلني القصائد حين أشدو أميراً، والمدى عرش مهيب

وتحملني الدروبُ على أكف ومثلي اليوم تنكره الدروب

كذلك يقول فيها مصوراً تجاهل الآخرين وإعراضهم عن كينونته الشاعرة:

ويصرخُ فى الوجود بألف معي

ويمضي السائرون ولا مجيب

ويعلن اغترابه بكل المفردات الدالة عليه، ويشكو إلى أمته، وبلاده هذا الاغتراب بوصفها أميرة حروفه، وملهمتها، يقول:

أميرة أحرفي تعبتْ حروفي على شطآنها يبس العسيب

فجئت لوجهك الحنطي أشكو لمن عرف النوى يشكو الغريب[٥٩]

بدد رسالة الشعر:

يُسفرُ الصراع بين الشاعر والمجتمع – غالبا- فى الرؤية الشعرية للشاعر د. صالح الزهراني عن ضياع رسالة الشعر، وبددها، حيث يقاوم المجتمع هذه الرسالة، ويعيقها، ويبدو بتجاهله لها من أقوى أسباب تعطيلها.

هذه القضية يُصوّرها الشاعر فى كثير من قصائده، وهى تمتزج بكافة محاوره الموضوعية. يُعبر الشاعر عن هذه الإشكالية بتصوير شعره

مخنوقاً، غريبا، مُبددا، لكنه فى ذات الوقت إلهام متواصل لا ينقطع فيريحُ الشاعر من عذابه.

يصوّر الشاعر هذه المفارقة فى قصيدة " مرثية للقمر المكي"، فيقول: (٦٠)

أنا هنا فى ربا زهران أغنية　　كئيبة يتحاشي طعمها الوتر

أنا هنا يا رفيق الدرب قافية　　مخنوقة، مقلة يمتصها السهر

لا الشعر يورق فى كفي فأنثره　　زهراً، ولا يائس منه فاعتذرُ

ويصور فى " البحث عن مضارب الوطن" حيرته بين العجز عن التوقف عن الإبداع، وبين مكابدة مرارات الإعاقة والتجاهل، يقول:

" جزائر الحزن" بُحّ الصوت، أرهقني　　شعرى، ولا سامع فى اليم يسمعني

ويصف توحده مع الشعر فى هذا المصير القاتم، يقول: (٦١)

لكنني جئتّ مقتولاً، وقافيتي　　مذعورة، حنتُ أبكي منكِ يا وطنى

يؤكد الشاعر عجزه عن تغيير الواقع، أو توجيه مساره مع ما يكابده من انعـــدام الوعي برسالة الشعر، وقيمته، وانعدام الوعي بأزمة الأمة أيضا، يقول فى لهجة هى مزيج الأسي والسخرية المريرة، يقول:

صدقوني ما جئت ألغي قرار　　أنا لا أستطيعّ ألغي قرارا

صدقوني ما جئت أحملُ بشرى　　يرفض البدرُ أن يطل نهارا

صدقوني ما جئتُ أنفث شعراً　　فى زمان يُصادر الأشعارا

جئت أبكي على، أبكي عليكم　　نصف قرن ونحن نقطر عارا

صدقوني: بعضى يحارب بعضى　　كنتُ عُربا، فصار نصفي تتارا

خطوتي تتهبُ المدي، ويميني　　فوق رجلى تقيم عمداً جدارا(٦٢)

بدد الشعر، وهبائية رسالته إحدى المقولات التى يتضمنها عنوان ديوان" ستذكرون ما أقول لكم" والتى يوجهها الشاعر إلى المجتمع إدانة وتحذيرا. ويصوّر د. صالح الشعر فى هذه المرحلة من تجربته محاطاً بالقهر والجمود واستلاب الحرية، ونلاحظ أن طرحه لهذه الإشكالية يزداد حدة لغة وقتامة رؤية مع توالي مراحل التجربة. يقول فى قصيدة " طواف":

والشعر مقصوص الجناح مكبل ... فوق الشفاه الداميات مستمر

من أين يصدح شاعر بقصيدة ... والرعب يضحك والمدافع تزأر

من أين؟ والشعر العظيم مكبل ... أضلاعه فى كل يوم تكسر

فى كل بيت قائد وكتيبة ... وبكل قافية تعلق مخبر[٦٣]

تنعكس إشكالية قهر الشعر وبدد رسالته على مفردات القاموس الداخلى للقصيدة، كما تنعكس على تفاصيل الصورة الشعرية، فيهيمن على العنصرين مفردات الكبل والسجون، والإغلاق، والأبواب الموصدة، والأفواه المكممة، أو المتجلببة للصديد والمرارة، والصمت بما يبدو واضحا فى التحليل الفني.

يصوّر الشاعر ذروة معاناته من هذه الإشكالية فى ديوانه " ورقة من سفر الرؤيا"، وتبدو هذه الإشكالية إحدى ملامح هذه الرؤيا.

يقول الشاعر فى قصيدة " سؤال" مصوّراً قهر رسالة الشعر:

" كان فمي مُكبلا بصمته

وفوق جبهتي بقية من لوعة الكتابة"[٦٤]

كما يُصوّر الشاعر حدة معاناته من الاغتراب التى تتزامن مع أزمة فاعلية الشعر- أو لا فاعلية الشعر- يقول فى البحث عن مضارب الوطن".

ما جف فوق ثراه الحرّ عطرُ أبي فكيفَ هذا الثرى المعشوق ينكرني[٦٥]

وتتعقد الإشكالية فى طرح الشاعر، حين يصوّر الاغتراب عاملاً من عوامل فشل رسالة الشعر، وفى ذات الوقت يكون هذا الفشل من دواعي الاغتراب، لذلك ينفي الشاعرُ إمكانية توهج الشعر وتورقه وإيناعه عند افتقاد الإحساس بالانتماء. يقول فى " البحث عن مضارب الوطن":

وكيف تورق فى الأحناء قافية وكيف يحكم وزناً غير متزن
وكيف أكبت أشواقي وأبعثها وليس فى وطنى يا سادتي وطنى
وليس لى فى رُبا عينيه متسع طوى شراعي وألقي للردى سفني[٦٦]

يصف الشاعر هذه المعاناة، وهذه القضية بأنها تاريخية، ويراها مصيراً حتمياً يشمل كل الرائين، وكل الصادقين، وهى مصيرُ الشعراء خاصة كما يُصوّر ذلك فى قصائد مختلفة، مصير الشعراء فى كل أزمنة الأمة، هكذا يطرح الشاعر تصوره فى " مقاطع من سيرة أبناء يعقوب"- وقد عرضنا لها سابقاً- حيث ينتهي الواقع بالأب- الشاعر- إلى الاغتراب فالاختناق فالموت مغترباً مقضي الرؤى والحروف والرسالة.

ينتهي المصيرُ بالشاعر كما انتهي بالفارس فى الطرح الشعرى للدكتور صالح الزهرانى: أى الموت أو الإبعاد والاغتراب، أو الفشل فى إيصال الرسالة الشعرية. يموت الشاعر غالباً موتاً مادياً أو معنوياً فى هذه الرؤية.

يموت الشاعر فى هذه التجربة موتاً بلا بطولة، موتاً فى انزواء، يشير الشاعر إلى هذا الموت صراحة، ومن خلال الإسقاط على رموز تدل على الحياة والعنفوان، مثل الوردة فى القصيدة المسماة بها حيث تذبل الوردة خلف أسوارها ثم تموت واصفة- عن طريق الرمز- معاناة الشاعر من القهر واستلاب الحرية، ومن ثم – موته فى حصاره. يقول الشاعر فى القصيدة:

" لكن كان الشاعر وحده

بقيت معه الوردة

مدت كفيها من خلف السور وماتت"[٦٧]

إن المصير القاتم والنهاية المفجعة هى قدر الشخصيات فى هذه الرؤية الشعرية، هى قدر الشاعر والشاهد والفارس والحارس، فهذه الشخصيات تنتهي إلى الجنون أو الاغتراب أو الموت، أو الانكسار، أو المساءلة، أو الإدانة من قبل المجتمع.

هى فى كل حال إذن شخصيات مائتة فى انفراد ووحشة ومجهولية، فى فداء، وبطولة مهملة، وفروسية متجاهلة. ينتهي د. صالح بشخصياته إلى الموت فى مناخ تصويرى جنائزى، مناخ تراجيدى محفوف بالكآبة والغرابة والشجن لعدم تكافؤ القوى، قوى النبل، وقوى الإزاحة.

تموت هذه الشخصيات فى التجربة الشعرية- متوحدة مع أحزانها ووجعها، وأسئلتها منعدمة الإجابة، ومرارتها، وفشلها فى تغيير الواقع وإيصال الصوت...، مجرد الصوت تموت غير محتفي بها، فى غير مهابة، أو توقير، أو شعور بالافتقاد، تموت كأنها لم تكن، ولم تقدم حياتها فداء.

هذا المصيرُ الدامي للشخصيات فى هذه التجربة الشعرية فصل من (فصول سيرة الرماد) فى ديوان الشاعر المعنون بهذا العنوان، حيث تشمل هذه الفصول سيرة الأمة وسيرة الخيول، وسيرة القوة بدلالتها العامة.

هذه السيرة سيرة الذات الجمعية فى احتراقها وغياب تاريخها المجيد، واستحواذ حاضرها القاتم عليها، هى سيرة الخيول الرابضة المحاصرة فى سجن ذكريات الصهيل وأزمنة وقع الحوافر، تلك الخيول التى رضخت فى حاصرنا لآنات الحمحمة، أو الصمت، واتسقت مع السيف والرمح والنبال فى الاتشاح بالصمت والصدأ.

الهوامش والإحالات

١- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"

٢- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" . ص١٠٤

٣- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"

٤- ديوان " فصول من سيرة الرماد". ص ٧٣

٥- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" . ص٥٣

٦- ديوان" ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٥

٧- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"

٨- الديوان السابق

٩- الديوان السابق

١٠- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" . ص٩٤

١١- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٥

١٢- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"

١٣- الديوان السابق

١٤- الديوان السابق

١٥- الديوان السابق

١٦- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" . ص٥٤

١٧- الديوان السابق. ص ٤٧، ٤٨

١٨- الديوان السابق. ص ٧٩

الهوامش والإحالات

١٩- الديوان السابق. ص ٥٨، ٥٩

٢٠- ديوان " تراتيل" ص ٥٣

٢١- الديوان السابق. ص ٤٥

٢٢- الديوان السابق. ص ٢٤

٢٣- ديوان " فصول من سيرة الرماد" . ص ٦٣

٢٤- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا" .

٢٥- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"

٢٦- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" . ص٥٧

٢٧- الديوان السابق. ص ٥٣

٢٨- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم" . ص ٤٠

٢٩- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" . ص ١٨.

٣٠- ديوان " فصول من سيرة الرماد". ص ٢١

٣١- السابق. ص ٢٢

٣٢- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"

٣٣- أدونيس. المجموعة الشعرية الكاملة. جـ٢/ ص ٣٣٤.

٣٤- أدونيس. المصدر السابق. ص ٣٦٢.

٣٥- أدونيس. المصدر السابق. ص ٤٠٩.

٣٦- ديوان " فصول من سيرة الرماد". ص ٤٨

٣٧- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".

الهوامش والإحالات

٣٨- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".

٣٩- الديوان السابق

٤٠- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" . ص ٨١

٤١- الديوان السابق. ص ٥٨

٤٢- الديوان السابق. ص ٧٦، ٧٧.

٤٣- الديوان السابق. ص ٥٧

٤٤- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم". ص ٣٥

٤٥- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا" .

٤٦- ديوان " فصول من سيرة الرماد" . ص ٢٣

٤٧- الديوان السابق. ص ٤٦.

٤٨- الديوان السابق. ص ٤٦.

٤٩- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" ص ٥٨.

٥٠- الديوان السابق . ص ٧١.

٥١- ديوان " فصول من سيرة الرماد" . ص ٢٧

٥٢- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" ص ٧٠.

٥٣- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".

٥٤- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".

٥٥- ديوان " فصول من سيرة الرماد". ص ١٩.

٥٦- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" ص ١٢٠.

الهوامش والإحالات

٥٧- الديوان السابق. ص ٢٣.

٥٨- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" ص ١٨.

٥٩- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم". ص ٤٥.

٦٠- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" ص ١٠٤.

٦١- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".

٦٢- ديوان " تراتيل حارس الكلأ المباح" ص ٥٧.

٦٣- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم". ص ٥٥.

٦٤- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".

٦٥- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".

٦٦- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".

٦٧- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم". ص